تفسير القرآن الكريم

سلسلة دراسات إسلامية جامعة وحديثة

١٨- سورة (طه)

في رحاب

سورة طه

إعداد

عبدالباسط الحصري

الفهرس

الإهداء.....	
المقدمة.....	
التمهيد لسورة طه.....	
التعليق على قصة إسلام عمر.....	
أسباب النزول.....	
المقطع الأول: أنزل القرآن الكريم لسعادة البشرية الآيات من ١- ٨	
شرح المفردات.....	
تفسير الآيات من ١ – ٨.....	
ماذا نأخذ من الآيات لواقعنا المعاصر.....	
الأسئلة وبعض الأجوبة.....	
المقطع الثاني: موسى عليه السلام ذهب يطلب ناراً فوجد نوراً الآيات من ٩ – ١٦**.**.....	
المقطع الثالث: معجزات التأييد والتكليف الآيات من ١٧ – ٣٦	
المقطع الرابع: أفضال الله على موسى سابقة ولاحقة الآيات من ٣٧ – ٤١	
المقطع الخامس: أدب الدعوة عند موسى الآيات من ٤٢ – ٦٤	

المقطع السادس: بدء المعركة بين حق موسى وسحر فرعون الآيات من ٦٥ – ٧٦.....	
المقطع السابع: الله يأمر موسى باتباع خطة الإنقاذ الآيات من ٧٧ – ٨٢.....	
المقطع الثامن: بنو إسرائيل يتنكرون لفضل الله ويعبدون العجل الآيات من ٨٣ – ٩٨.....	
المقطع التاسع: عاقبة المجرمين يوم القيامة الآيات من ٩٩ – ١١٤	
المقطع العاشر: عداوة أبليس الأبدية لسيدنا آدم وذريته الآيات من ١١٥ – ١٢٦.....	
المقطع الحادي عشر: مصير الكافرين الأيات من ١٢٧ – ١٣٥	
المراجع.....	

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

- إليهما، إلى اللذين كلما ذكرتهما دمعت عيناي، ولهج لساني بالثناء عليهما والدعاء لهما، وانتشت روحي بذكرهما العطرة.

- إلى أبي ومرشدي وقدوتي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم – الشيخ أحمد الحصري العالم العامل رحمه الله، وجعل مقامه مع الشهداء والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

- إلى أمي نبع الحنان، وفيض العطاء ومحض التضحية والإخلاص، السيدة عديلة بلاني رحمها الله وأحسن إليها كما أحسنت إلي.

- إليهما وأنا العاجز عن الوفاء ببعض فضلهما، علَّ الله أن يغفر لي ولهما، ويتقبل مني هذا العمل ويجعله بفضله ومَنِّهِ في صحائفهما إنه سميع مجيب جواد كريم.

قال تعالى:

- ((وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً)) الإسراء ٢٤.

- ((رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ)) إبراهيم ٤١.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين،الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

- استيقظت مبكراً في رحاب الدين والإيمان، ووجدت أمامي رسالة محفوفة بالإجلال والحب والعظمة، ومضت علي سنون، والرسالة أمامي أتطلع إلى إستجلاء كنوزها وسبر بعض معانيها، و كلما ازددت منها قربا ازداد بريقها لمعاناً و تألقاً، وازدادت معانيها عمقاً وجمالاً، فاستدرجني جمالها لِلحاق بها، وللسعي الحثيث في نيل نوالها، لذا اصطحبت معي أمهات كتب التفسير، و أبحرت بشراع التوحيد - و بقارب التوكل- في بحار المعرفة، أستجلي الجمال في الأسلوب والعذوبة في الألفاظ و السمو في المعاني، ووقفت على أعتاب تلك القصور المنيفة المرصعة بلآلئ المعرفة، وفي رحاب آيات كتاب الله حيث العجائب التي لاتفنى، وحيث النور الساطع الذي لا يتبدد، ورحت أتنسم العبير الشذي من كل آية، وأرشف من رحيقها المختوم ما يشفي العليل؛ لأسجل بعد ذلك:- لي ولكل مبتغ للخير والجمال وباحث عن الحقيقة- هذه اللآلئ، علها تشفي وإن كانت لا تفي ولا تغني كليا عن الإبحار في أمهات كتب التفسير ومع أعلامها، فكتاب الله لا تفنى عجائبه، وسيبقى خالداً يقرؤه القارئون ويتمتعون بجمال تلاوته، ويبحر في متونه العارفون فيتذوقون ويعرفون ويلتزمون، وأنى لهم أن يحيطوا بكتاب الله وأسراره؟! وإنما هو شوق الفراش إلى النور وعشق الضياء إلى العطاء قال تعالى: ((قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً

لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً)) الكهف ١٠٩.

- وذات صباح استيقظت على صوت ابني الصغير، وهو يرتل في ديار الغرب القرآن خاشعاً ، وكأنه أوتي مزمارا من مزامير داوود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فأحسست بجمال القرآن ونشوة تلاوته ونشوة فهمه، فقررت أن أسير في طريق فهم القرآن، وأبحرت في متون الأجاويد من كتب التفسير، وعشت أمتع أيام عمري مع أمهات كتب التفسير، وأنا أحاول أن أتذوق جمال القرآن الكريم، وسألت نفسي وأنا أتنقل مع كل آية بين الرياض النضرة من (القرطبي إلى ابن كثير إلى البقلي إلى السيد إلى الرازي إلى الطبري إلى البقاعي إلى ابن عاشورإلى القشيري.....). وسألت نفسي بعد ذلك كله هل ترك الأوائل للأواخر شيئا؟ وأجزم قائلاً: جزاهم الله خيراً فقد أحسنوا وأجادوا وأبدعوا، ولقد زخرت مكتباتنا العربية بنفائس كتب التفسير وهي التي تُغْنِي وتشفي و تبل الغليل، لمن أراد أن يعيش في الظلال، لكنها لا تفي بجلال عظمة القرآن، و مهما كتب الكاتبون و شرح المفسرون؛ فالقرآن الكريم لا تفنى عجائبه، و هو(يعلو ولا يعلى عليه، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، و إن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر)[1]، و كما قال الله تعالى: ((وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ)) البقرة ٢٥٥.

١- من أقوال الوليد بن المغيرة في القرآن (المصدر: عبقرية خالد للعقاد)

ونظراً لافتقار المكتبات الأوروبية إلى كتب التفسير وبلغات القوم و خاصة الإنجليزية، لذا كان هذا التفسير باللغة الإنجليزية لعله يكون أول الغيث، ولعل الله ينفع به العطاش إلى النور و ينفعني به، ومازلت أبحث عن اللآلئ والنفائس الربانية لأقدمها باللغة الإنجليزية لكل طالب علم بل لكل من يبغي الخير؛ وكلما زعمت أني فهمت آية؛ أحسست براحة نفسية ونشوة روحية وسعادة، وأحسست بمدى الضياع الذي كنت أعيشه، لذا قررت أن أوثق هذه اللآلئ، وأدونها، علها تكون هدىً ونوراً لقارئها، ولعل الخيرين يطلعون عليها؛ فيسددوا لي ويقاربوا، وعسى ربي أن يهديني سواء السبيل.

وعسى ربي أن يتقبل مني هذا العمل الذي ابتغيت فيه مرضاته، ومن ثم تسهيل فهم كتاب الله جل وعلا على الناطقين باللغة الإنجليزية، وعرض تلك النفائس عليهم، علها تكون لي ولهم و لكل قارئ هدىً ونوراً، وهذا أثمن ما يمكن أن أقدمه لحياتي، راجياً المولى أن يغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

هذا وقد مهدت لتفسير الآيات ذات المضمون الواحد بِكَمٍ من الأسئلة التمهيدية أو الإستقرائية، إثارة للذهن و بعثاً للبحث و التشويق، واقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي طالما كان يثير ذهن محدثه ويستجمع فكره ويجذبه إليه من خلال الأسئلة التمهيدية التي تهيؤه لتلقي الفكرة

واستيعابها وبالتالي قبولها[1]، كما ختمت تفسيرالآيات بأسئلة تقويمية سابرة لمدى فهم الآيات و باحثة في بعض تفاصيلها لتشمل ما ورد من اللآلئ في أمهات التفسير، و لتكون كالمتنقل بين الرياض النضرة. والأسئلة بنوعيها: غرضها تحقيق دقة الفهم لكتاب الله لدى الناطقين باللغة الإنجليزية وأملاً في

عموم الفائدة وخاصة لطلبة الدراسات الاسلامية الجامعية فقد رأيت إصداره بنسخته العربية الأصيلة.

هذا و قد شفعت بعض الأسئلة بأجوبة مختصرة ومقتبسة من كتب التفسير، و ذلك توسعة لإطار فهم الآيات، وما هذه الأسئلة على كمها الكثير وتنوعها إلا اقتفاءً لنهج النبوة في توضيح الفكرة و اعتماد أساليب التشويق و التعزيز، فكثيراً ما كان الرسول صلى الله عليه و سلم يلجأ إلى تشخيص الفكرة و إثارة الإنتباه إليها، من خلال الأسئلة والتشبيه والتجسيم والتصوير مثل قوله عليه الصلاة والسلام: (أرءيتم لو أن نهراً بباب أحدكم...) و قوله: (أي يوم هذا؟ أي شهرهذا؟ أي بلد هذا ؟....)، و حديث السفينة، والأمثلة النبوية التربوية في هذا المجال كثيرة و معروفة، و في القرآن الكريم الكثير من الأمثلة وإليك نماذج عنها مثل:

((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) البقرة ٢٦٠.

---

١. جاء أعرابي إلى رسول الله، وسأله كيف يحي الله الموتى، قال: أرأيت أرضاً خضراء؟ قال: نعم، قال: أرأيتها أجدبت بعد اخضرار؟ قال: نعم، قال: ذلك مثل الحياة والموت.....إلخ أوكما جاء في الحديث الشريف.

((وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَىٰ صَعِقاً فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ)) الأعراف ١٤٣.

- هذا و قد أردت أن يتجلى فهم الآيات القرآنية من خلال التطبيق العملي للآيات في واقع حياتنا المعاصر، فكانت عملية ربط الآيات بالواقع، و بما يجب أن يكون عليه المسلمون في هذا العصر، تحقيقاً للأمن والسلام والسعادة في ظل القرآن الكريم، وما كان القرآن يوماً للتلاوة والتبرك فقط، وإنما هو شرعة ومنهاج حياة تنظم سلوك الفرد والمجتمع، وترشده إلى الحياة السعيدة، في الدارين، والأمن والسلام في ظل هدى الله، قال تعالى: ((الٓمٓ، ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)) البقرة ١- ٢. وقال أيضاً: ((طه، مَآ أَنَزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ)) طه ١ - ٢.

- و ختاماً اللهم أعنى على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك.

رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، ربنا واجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء همومنا، ربنا وعلمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نسينا، ربنا ولك الحمد في الأولى والآخرة، اللهم صل على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وسلام على المرسلين والحمدلله رب العالمين.

عبدالباسط الحصري:
Scotland - UK
Email: aab770@hotmail.
الجمعة المباركة: ٥ جمادى الآخرة، ١٤٣٠ هجري. الموافق ٢٩,٠٥,٢٠٠٩ ميلادي.

سُورَةُ طٰهٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طٰهٰ ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً
لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ
فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ
ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن
لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ
أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ
أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ
فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ
فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا
فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ
أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ
كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ
وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا
خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ
أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا
مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ
فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا
سُوٗى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ
وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ
ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم
مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ
كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾

قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟
كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا
فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ٧٩ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠ كُلُواْ
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي ۖ
وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن
قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ
رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِيُّ ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا ۚ قَالَ
يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم
مَّوۡعِدِي ٨٦ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ
أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧

فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا
يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ٨٩ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ
يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ
أَمۡرِي ٩٠ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ
٩١ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ
أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ
إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ
قَوۡلِي ٩٤ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥ قَالَ بَصُرۡتُ
بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦ قَالَ
فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ
عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا ٩٧ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ٩٨

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ
﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ
وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا
تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ
﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى
ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ
لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن
قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

التمهيد

١. **عدد آياتها:** ١٣٥ آية.

٢. **مكان نزولها:** مكة، إلا آيتين (١٣٠-١٣١).

٣. **زمن نزولها:** نزلت بعد سورة مريم، وقبل إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أما قصة إسلام عمر كما أوردها القرطبي في تفسيره وابن هشام في السيرة النبوية وغيرهما فهي:

قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قد أسلمت، وأسلم بعلها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نُعيم بن عبدالله النحَّام من مكة، رجل من قومه، من بني عدي ابن كعب قد أسلم، وكان أيضا يستخفي بإسلامه فرقا من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يُقرئها القرآن، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبدالمطلب، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق، وعلي بن أبي طالب، في رجال من المسلمين رضي الله

عنهم، ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة.

فلقيه نعيم بن عبدالله، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدا هذا الصابئ، الذي فرَّق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله؛ فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال : خَتَنُكَ وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما، وتابعا محمدا على دينه، فعليك بهما.

قال : فرجع عمر عامدا إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة، فيها: (طه) يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال : ما هذه الهَيْنَمة التي سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئا ؛ قال : بلى والله، لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد ؛ فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها ؛ فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم لقد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتبا ؛ فلما قال ذلك، قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ؛ قال : لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها ؛ فلما قال ذلك، طمعت في إسلامه، فقالت له : يا أخي، إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها : (طه) . فقرأها ؛ فلما قرأ منها صدرا (أول السورة)، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خباب خرج عليه، فقال له : يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر . فقال له عند ذلك عمر : فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأُسلم ؛ فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فضرب عليهم الباب ؛ فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظر من خَلل الباب فرآه متوشحا السيف، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع، فقال : يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف ؛ فقال حمزة بن عبدالمطلب : فأذنْ له، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ائذن له، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة، فأخذ حُجْزته، أو بمجمع ردائه، ثم جَبَذه به جبذة شديدة، وقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينـزل الله بك قارعة، فقال عمر : يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله ؛ قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم .

فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم، وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينتصفون بهما من عدوهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم .

التعليق على قصة إسلام عمر و صلة ذلك بالسورة

أ. من خلال القصة نلمح ما يلي:

١. شخصية عمر في الجاهلية جبارة معاندة وفدائية، تضحي بروحها فداء للأصنام، وهذا ما ينم عن شجاعته في الجاهلية وقوة إيمانه فيما يعتقد، فهو يعلم يقيناً أنه سيُقتَل إن قتل رسول الله، ولكن لا تهمه نفسه إن قُتِلْ، فنفسه تهون أمام تحقيق هدفه، وهو قتل الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢. ذكاء المسلم نعيم بن عبدالله الذي كان يخفي إسلامه، والذي أظهر قدرته على تحويل مسار عمر وخطره إلى أخف الضررين، فلقد كان نعيم بين خيارين؛ إما أن يدع عمر يقتل الرسول صلى الله عليه وسلم، أو يصرفه لمعالجة موضوع أخته فاطمة بنت الخطاب، وهذا التحويل يوهن قوة العدو، ويحول مساره إلى طريق آخر، وكذلك النهر إذا حول مجراه ضعفت قوته وتشتت، وهذا يدل على حسن السياسة والتفكير والسرية عند نعيم، فالمؤمن كيس فطن حذر، وهكذا اختار نعيم أخف الضررين.

٣. إن صمود الدعاة على الحق، وصبرهم وحسن أخلاقهم، يعتبر أقوى قوة تزعزع قوة الخصوم، فكان صمود فاطمة وزوجها معول هدم في نفسية الجبار عمر، فأثارت فيه مواقف الصبر

والصمود التي تحلت بهما أخته وزوجها إحساساً بعظمة هذا الدين وعظمة المؤمنين به فجعلته يلين قليلاً، ثم لما استمر طغيان عمر تصدت له وببسالة المرأة المناضلة فاطمة بنت الخطاب قائلة: (لقد أسلمنا فافعل ما شئت يا ابن الخطاب).

٤. ما مضى كانت مواقف تمهيدية؛ جعلت عمر يراجع فكره وحساباته طالباً صفحة من القرآن، فلما تلاها وكان عمر قارئاً كاتباً، فلما أمعن النظر فيها، وتحرر من غطرسته، وجبروته، وتضاءل أمام عزة الإيمان وتعاليه، لذا انساب إلى قلبه نور القرآن، وأدرك ولأول مرة أن هذا ليس من كلام البشر؛ فقال: (ما أطيب هذا الكلام وما أحسنه دلوني على محمد). صلى الله عليه وسلم.

٥. لقد كانت الآيات التي قرأها عمر من ١ – ١٦ تقتحم شغاف قلبه وتطارد عنجهيته الجاهلية لما في هذه الآيات من سحر المعاني وسموها وجمال الأسلوب وعذوبة الألفاظ وسمو المعاني فمن صفات الجلال الرباني قال تعالى: (إني أنا ربك)، إلى صفات التجلي الرباني على موسى عليه السلام حيث قال: (إني أنا الله لا إله إلا أنا). فجلال العظمة الربانية هيمن على قلب عمر، فلقد جعلته هذه الآيات يسرع في إعلان إسلامه، فلقد جاء في الظهيرة ليقتل محمدا عليه الصلاة والسلام وعصراً غدا مدافعاً عن محمد صلى الله عليه وسلم، وهكذا بشاشة الإسلام إذا

خالطت قلب الإنسان فعلت العجائب، كما حدث مع السحرة إذ كانوا في الصباح سحرة وغدوا في المساء شهداء بررة، ولذلك على المسلم ألا يدب اليأس إلى نفسه أثناء دعوته إلى الله.

فلقد أسلم عمر قبل أن يسلم حمار ابن الخطاب، وصدق تفاؤل أم عبدالله المرأة المسلمة المهاجرة إلى الحبشة، يوم حدثت زوجها عما طرأ على سلوك عمر من رقة ورحمة، فقال لها وقد وضعت أحمالها في الطريق: إلى أين يا أم عبدالله؟ فقالت: إنما نريد الهجرة إلى الحبشة، فقد آذيتمونا، و ضيقتم علينا في ديننا، وعذبتمونا وأردتم إكراهنا على الشرك، فقال لها عمر: صحبتكم السلامة يا أم عبدالله، وفي أمان الله. فلما جاء زوجها حدثته بما قال عمر لها و بما وجدت به من رقة و رحمة، خلاف غلظته المشهور بها، فقال لها زوجها: أتطمعين في إسلام عمر، والله لا يسلم عمر حتى يسلم حمار الخطاب.

٦. إن الرجال والنساء الذين يحملون القرآن بصدق قولاً وعملاً، ويتخلقون بأخلاقه هم أقدر الناس على الدعوة إلى الله وتبصير الناس بحقائق القرآن.

٧. جاء في الحديث الشريف (المؤمن كيس فطن حذر). فعلى المؤمن أن يكون حسن السياسة قادراً على التصرف الحكيم في مواقف الخطر وأن يعرف كيف تكون المقارنة والقياس، و كيف يكمن أمام الخطر حتى ينجلي كما حدث لمؤمن آل ياسين

و مؤمن آل فرعون، وكما فعل نعيم بن عبدالله رضي الله عنهم جميعاً

٨. إن للمرأة دورا هاما في الدعوة الإسلامية لابد أن تأخذه في حياتنا المعاصرة، كما اتضح ذلك من سيرة الصحابيات رضوان الله عليهن، وأخص منهن السيدة فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها، فالمرأة هنا ليست نصف المجتمع كما يقال وإنما هي الأساس المتين الذي ترتكزعليه نهضة الأمة.

فالأم الفاضلة هي التي تنشئ العظماء كالسيدة الصديقة مريم، والزوجة الصالحة هي التي تؤازر زوجها وتشد من عضده، وتهيئ له البيت الذي لانصب فيه ولاوصب حتى ينشط في الدعوة إلى الله، كما فعلت السيدة خديجة رضوان الله عليها.

وكما هي الأم التي تدفع بأبنائها الأربعة إلى ميادين الشرف والعزة وهم كل ما تملك في هذه الحياة؛ وخاصة بعد أن دبت إليها الشيخوخة، وأحنى الدهر ظهرها، أليست هي الخنساء؟ وهل خولة بنت الأزورعنا ببعيدة؟

ثم ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم للمازنية نسيبة: (من يطيق مثلما تطيقين يا أم عمارة؟!) و هل كانت أم عمارة تجوب الأسواق،أم تتابع المسلسلات أم تتنقل في المنتزهات؟ أم تأكل لحوم البشر غيبة و نميمة؟ كل ذلك لم يكن. لقد أدت دورها كأبدع ما يكون، و أين نحن من ميسون التي ألهبت إحساس المتخاذلين عن الدفاع عن

أوطانهم، و الذين دب إليهم الوهن أمام طغيان التتار، ألم تنثر شعور الحرائر في المسجد الأموي؟ وقبل خطبة الجمعة قائلة للخطيب: هذه شعور الحرائر اللواتي لم ترهن الشمس، خذوها فاجعلوها أعنة لخيولكم، وانهضوا في قتال عدوكم التتري، فإن لم تفعلوا و جبنتم، فاجعلوها جدائل لكم؛ فما أنتم بالرجال و لا أشباه الرجال وأعطونا خيولكم لنجاهد عليها، و لما سمع الناس و رأوا ما رأوا ثارت فيهم الحمية، و هبوا للدفاع عن أوطانهم. من هنا ندرك الأهمية القصوى لإعداد المرأة و تربية البنات، و ما كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم أن يعدل بهذا العمل عَمَلَ من يصارع الموت، و يستظل بظل السيوف، و يبذل روحه في سبيل الله؛ حتى يصل إلى جنة الله؛ إلا ليبين لنا أهمية تربية البنات و إعدادهن وضرورة الصبر عليهن، وأنهن طريق من يعتني بهن إلى الجنة، وأن الجهد المبذول في ذلك هو صنو العمل في ميادين العزة. ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أتاه الله ثلاث بنات فأحسن تربيتهن و أكرمهنَ و لم يهن هن دخل الجنة، فقال رجل: يا رسول الله و اثنتان، قال: و اثنتان، و قال آخر:

و واحدة قال: و واحدة.) أو كما جاء في الحديث الشريف. و إنما أطلت في هذا السرد لما يلحظه المستقرئ من إهمال لدور المرأة الدعوي في هذا العصر، فإن قامت بذلك المرأة فإنما تقوم بذلك على خجل و استحياء و إذا دعا بعض المصلحين إلى أن تأخذ المرأة دورها

فإنما تكون دعوته خجولة و متوارية و تكون غيضا من فيض و نذراً يسيراً. لقد أدت المرأة في ظل الإسلام دورها التأسيسي، و توارت عنه في هذا العصر في متاهات التفاخر و التكاثر بالأموال و البنين و الأثاث و الجمال، فزينت ظاهرها لتصطاد و تركت باطنها تعشعش فيه الأهواء، و تخلت عن مهمتها الأساسية حتى غدت متاعاً يتمتع بها ثم تلفظ كالنوى، أو تستخدم للدعاية، بل للترويج لكل رخيص، حتى غدت المرأة المسلمة في غالب الأحيان ألعوبة بيد من لا خلاق لهم و عبدة لأهوائها إلا من رحم ربي، وقليل ما هنَ.

٩. بينما يعتبر العربي الجاهلي رابطة النسب من أقوى الروابط نظراً للعصبية القبلية السائدة، إلا أننا نجد فاطمة بنت الخطاب التي صاغ القرآن قلبها تعتبر رابطة الدين هي الأعلى، لذا بادرت إلى التصدي لأخيها دفاعاً عن عقيدتها و إظهاراً للحق، و ضربت بعصبية الجاهلية عرض الحائط ما دامت تهدد دينها، و تعالت على رابطة الأخوة واستعلت بدينها وحقها. لقد كان الله و رسوله أحب إليها ممن سواهما مصداقا لقوله تعالى ((قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم و إخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها أحب إليكم من الله و رسوله و جهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره و الله لا يهدي القوم الفاسقين)) التوبة آية ٢٤.

و إننا لنجد في هذا العصر بفضل الله نساء مسلمات يقدمن رابطة الدين على أي رابطة، بينما للأسف نجد السواد الأعظم منهن ينساق وراء عصبية الهوى أو النسب مدمراً كل شيء من أجلها.

٤. أسباب النزول:

- قال مجاهد: كان صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم يربطون الحبال في الصلاة ليلاً من طول القيام، ثم نسخ ذلك بالفرض، فنزلت هذه الآية (طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى).
- وقال مقاتل: فلما نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم قام هو وأصحابه فصلوا، فقال كفار قريش: ما أنزل الله القرآن على محمد إلا ليشقى، فأنزل الله تعالى (طه). أي يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب، طأ الأرض برجلك. (تفسير القرطبي).
- **قال تعالى: (وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)** طه الآية ١٣١. عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن ضيفاً نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاني، فأرسلني إلى رجل من اليهود يبيع طعاماً فقلت لليهودي: يقول لك محمد صلى الله عليه وسلم: إنه نزل بنا ضيف، ولم يلف

عندنا بعض الذي يصلحه، فبعني كذا وكذا من الدقيق، أو أسلفني إلى هلال رجب، فقال اليهودي لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن. قال أبو رافع: فرجعت إلى رسول الله فأخبرته، فقال صلى الله عليه وسلم: (فوالله إني لأمين في السماء، أمين في الأرض، ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه، اذهب بدرعي إليه). فنزلت هذه الآية تعزية للرسول صلى الله عليه وسلم وسلواناً له.

فضلها وأهميتها:

- (قال صلى الله عليه وسلم: إن الله قرأ (طه ويس) قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما سمعت الملائكة قالت: طوبى لأمة ينزل عليهم هذا، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسن تتكلم بهذا)، ومعنى ذلك أن الله أسمع الملائكة وأفهمهم كلامه جل وعلا عن الوصف والتشبيه والتمثيل، سبحانه ليس كمثله شيء.

ومن فضائلها أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن (بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأوَل وهن تلادي). وقيل حديث غريب فيه نكارة.

الناسخ والمنسوخ:

قال تعالى: (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى). هذه الآية ناسخة لفرض قيام الليل المذكور في سورة المزمل، وقيل أيضاً إن الصلاة المفروضة هي الناسخة لقيام الليل.

الأحكام:

- (اخلع نعليك)، إن أسباب الأمر بخلع النعليين وعلته إنما هي للتبرك بالموضع المقدس الذي قدسه الله، والعبرة بما قدسه الله و ليس لنا أن نسأل لِمَ!

- (أقم الصلاة لذكري) صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نام عن صلاة الصبح فصلاها بعد طلوع الشمس، وقال: إن الله تعالى يقول: (وأقم الصلاة لذكري) وقال عليه الصلاة والسلام: (من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة له إلا ذلك).

المقطع الأول: تفسير الآيات من: ١ ــ ٨

الموضوع:أنزل القرآن الكريم لسعادة البشرية

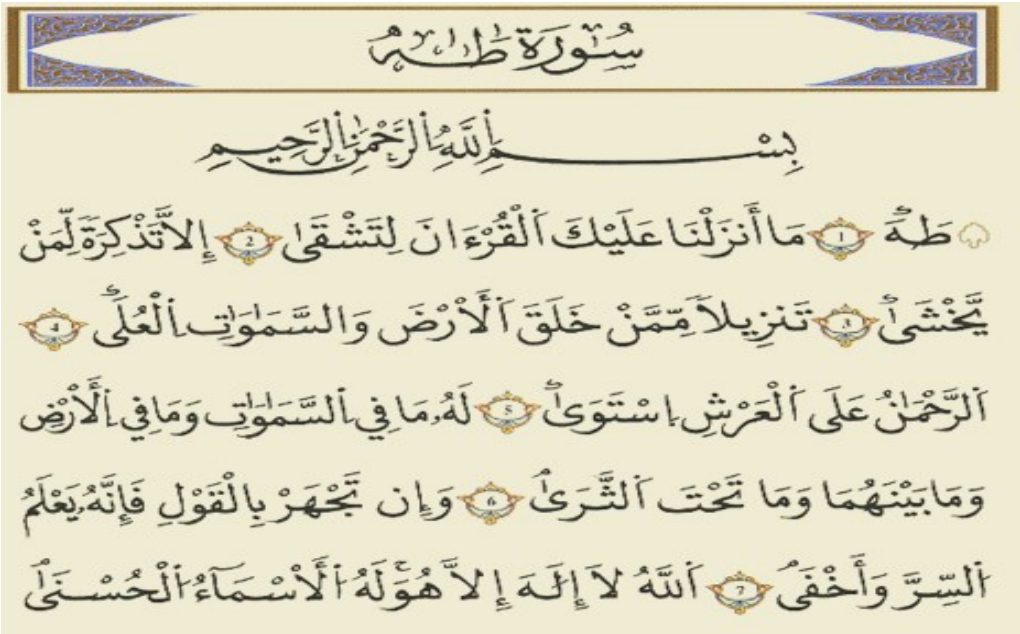
سُورَةُ طٰهٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طٰهٰ ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن
يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ ﴿٤﴾
الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ
السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ

شرح المفردات:

- **طه**: لها معانٍ كثيرة - والله أعلم بمراده - ومنها:

١. أنها سرٌ بين الله ورسوله.

٢. حروفٌ مقطعة تدل على معان كثيرة جليلة، مثل: طه أي طاب عيش من اهتدى.

٣. حروف لتحدي الكفار للإتيان بمثل القرآن.

٤. لجذب انتباه المشركين الذين قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه.

٥. طه بمعنى يا رجل (قالها البخاري) أي طأ الأرض برجلك يا رَجُل.

٦. ومنها يامحمد.

٧. أقسم الله بـ (طه)، وطه يا حبيبي، وقيل أن طه للإعجاز ولتشويق المشركين لسماع القرآن، أو لتحديهم، وقيل لمناجاة الرسول ولمزيد من الإكرام والإيناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

- **لتشقى**: لتتعب كثيراً وتحزن كثيراً.
- **تذكرة**: عظة وتبصرة لأهل العقول.
- **يخشى**: من ينتفع بالعظة أو الموعظة.
- **العرش**: رمز للعزة والسلطان.
- **استوى**: علا وقهر، واستوى على العرش بغير حدٍ ولا كيف، وهي تقريب للعظمة بما هو محسوس، فلا تكييف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل.
- **الثرى**: التراب.
- **تجهر**: الصوت العالي.
- **السر**: ما أسررته في نفسك، قال ابن عباس: ما حدثت به غيرك في خفاء.

- **أخفى**: مالم تحدث به نفسك، وقال ابن عباس: ما أضمرته في نفسك، وقيل ما لم يطلع عليه أحد إلا الله وما لا يكتبه الملكان.
- **الحسنى**: تختص بأسماء الله، وغير أسمائه سبحانه وتعالى لا تتصف بالكمال، أما أسماء الله وصفاته فليس فيها نقص.

الدراسة اللغوية:

١. ما معنى طه؟
٢. ماضد كلمة تشقى؟
٣. لم قدم الجار والمجرور في (عليك) على لفظ المفعول به (القرآن)؟
٤. لم قدم (الجار والمجرور) على الفعل (استوى)؟

تفسير الآيات من ١ ـ ٨:

١.(طه):

تفتتح السورة بمشهد الإيناس والتكريم والملاطفة الربانية التي تبدأ بنداء الرسول صلى الله عليه وسلم باسمه المحبب، وما أجمل أن ينادي

الحبيب حبيبه ليؤانسه مظهراً الشفقة والرحمة. فيا طه المحبب، أي يا محمد يا حبيبي لا تتعب نفسك ولا تكلفها ما لا تطيق من العبادة، فإنما بعثت بالحنيفية السمحة، فكلمة (أنزلنا) توحي بالمودة والمحبة والصلة الطيبة بين الله ونبيه و عباده المؤمنين، وهي أيضاً ذكرى من الرب جل وعلا إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإلى عباده المؤمنين، فالقرآن كلام الله، وذكرى للذاكرين وسلوان للمؤمنين في الدنيا إلى أن يروا ربهم في الآخرة، فكلمة (أنزلنا) توحي بأنكم ستشتاقون إلى رؤيتي في الدنيا، ولكن لن تروني فيها، فهذا كلامي لكم في قرآني سلواناً وأُنساً؛ تستأنسون بكلامي حتى تروني، فاسمعوا له، واصبروا على طاعتي حتى تلقوني.

فالمرء يأنس ببعض ما يَمُتُ إلى حبيبه بصلة، وذلك من عادات البشر، ولله المثل الأعلى، فإن القرآن كلام الله مقرون به لا يباينه، أنزله لعباده سلواناً لهم إلى أن يلقوه، و ليتربوا على مبادئه وليستعدوا للقاء ربهم.

٢.(مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى):

ما أنزلنا عليك القرآن يا محمد إلا ليكون ذلك التنزيل مبعثاً لسعادتك وسعادة المؤمنين. أنزلناه من قدسنا ومع سيد ملائكتنا إليك، ليكون سعادة لك ولمن اتبعك، فلا تجهد نفسك بالصلا ة والقيام، وطأ الأرض بقدمك، وَصَلِ ونَمْ، ولا تأبه لأولئك الكفار ولا تحزنك أقوالهم ولا

أفعالهم، فقط بلغ ما أنزل إليك؛ فليس عليك هداهم، إن الله يهدي من يشاء.

لقد كانت هذه الآية رداً على أقوال المفترين من كفار قريش أمثال أبي جهل والنضر والوليد بن المغيرة، حين زعموا أن رب محمد يُتعِب محمداً وأصحابه ويُجْهدهم بالعبادة، وخاصة بعدما رأوا كيف يربط الصحابة أنفسهم بالحبال، حتى لا يدركهم النعاس اجتهاداً في العبادة، ورأوا كيف تتورم أقدام الرسول صلى الله عليه وسلم قائماً في صلاته، فيضطر لأن يستند على رجل واحدة ويريح الأخرى، كما أنه كان يحزن على حال الكفار وعنادهم، فأوضح الله له أن الإسلام يسر وسماحة، فلا تتعب نفسك يا محمد، ولا تحزن عليهم.

هذه حقيقة ناصعة البيان لكل من يفتري على القرآن، وما أكثر المفترين عليه، إذ يزعمون أن القرآن مصدر شقاء العرب في هذا العصر، كما يزعمون أنه سبب انهزامهم في حروبهم، وسبب تخلفهم الحضاري، ويعلم الله أنهم كاذبون، وهكذا لا يَفْترُ أعداء الله في هذا القرن وغيره من القرون عن الإفتراء على هذا الدين، وقد أُشْرِبوا في قلوبهم حب الدنيا وكراهية الحق، وانطلقوا وراء شهواتهم ونزواتهم غير آبهين بمن يدوسونه بأقدامهم، وغير آبهين بالشعوب المسكينة التي يضللونها وخاصة عندما ينسبون سبب تخلف الأمة إلى تمسكها

بدينها، وقد أغراهم على ذلك ضعف المسلمين وهوانهم على أنفسهم وذهاب ريحهم.

وما انهزم العرب في حروبهم، وما وصلوا إلى هذا الدرك من التخلف والفرقة إلا يوم تركوا دينهم، وواقع التاريخ والأحداث يثبت ذلك.

٣. (إلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى):

إذاً لماذا أنْزِلَ القرآن؟ واجتاز تلك المسافات من اللوح المحفوظ إلى الصدور الحافظة، ومع أطهر الملائكة إلى أشرف الرسل وفي اقدس البقاع وأشرف الأزمنة ،وماذا يجني الله من وراء ذلك؟ وماذا يربح؟ وأي مردود سيعود عليه إن اتبع الناس هذا القرآن؟ بل وأي ضرر سينتابه إن جعلوه وراء ظهورهم؟ سبحانه وتعالى عما يصفون، فلا هذا ولا ذاك يؤثران في ذات الله، وحاشا لله أن تؤثر فيه الحوادث، والله سبحانه وتعالى ما خلقنا ليربح علينا، وإنما خلقنا لِيُرْبِحَنا، إذن من أجل ماذا أنزل الله القرآن؟ أنزله تذكرة، قال تعالى: (إلا تذكرة لمن يخشى)، أنزله عظة ومنفعة وتبصرة ورحمة، أنزله الله إليك يامحمد لتستروح إلى كلام خالقك، فإن المحب يرتاح لسماع كلام حبيبه، أنزله على قلوب المؤمنين الخاشعين؛ لتزداد خشية بعلمها بالله حال القرب والبعد، فأنزل الله قرآنه على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ليذكرهم أيام الوصال، وليطرد عنهم الشيطان. وأهل الخشية هم العلماء بالله تعالى، والخشية تأتي من الإحساس

بعظمة الخالق، فأنزل الله القرآن ليذكرهم عظائمه وجبروته وكبرياءه.
قال ابن عطاء: يا محمد أنت إمام أهل الخشية، وأنزل القرآن إليك لتسكن إليه وترتاح، فالمحب يأنس بكتاب حبيبه. قال جعفر: أنزل الله القرآن موعظة للخائفين ورحمة بالمذنبين.
وسمي القرآن قرآناً لأنه يقارن متكلمه ولا يباينه. وهكذا أنزل القرآن تذكرة لمن يخشى الله، وأشد الناس خشية لله بعد الرسل والأنبياء هم العلماء لقوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقد جاء في الحديث الشريف: (يقول الله للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسي القضاء: أني لم أجعل علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي). الحديث إسناده جيد.

٤. **(تَنزِيلا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلا)**:

والآن إنما يعرف كرم الرسالة من خلال حاملها، فحاملها جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ومحمد إلى العالمين، فسيد الملائكة إلى سيد البشر، ولكن عظمة الرسالة إنما تكون من عظمة مُرْسِلِها، فمن أرسلها؟ إنه الله، فهذا القرآن منزل تنزيلاً من رب السموات العلا، ومن اللوح المحفوظ إلى أقدس البقاع (مكة)، وإلى أشرف البشر محمد صلى الله عليه وسلم، وإن مصدر هذه الرسالة هو الله، والله يعرف ذاته لعباده تكرماً ولطفاً ورحمة، يعرف ذاته بأنه منزل القرآن، وبأنه الخالق حيث لا أحد يستطيع أن يزعم حتى الآن ولا في المستقبل أنه

خلق الأرض بما فيها من البشر والنبات والحيوان والجماد، وبالتالي فهو عظيم لأنه خالق، ورسالته تستحق منا الإهتمام كله، وليست الأرض ومافيها من إبداع صنعه فقط، وإنما السماوات العلا ومن العرش إلى ما تحت الثرى كلها ملك له، وأيضا مافيها من غرائب وعجائب ومن أبعاد لا يعلمها إلا الله، قال تعالى: (**وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**) الذاريات الآية ٤٧.

وقال أيضاً: (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها) النازعات الآية ٢٧.

وإنما عدل السياق القرآني عن التصريح باسم الجلالة إلى الموصولية (ممن)، ثم إلى الحديث عن صلتها و تبيان الآثار والآيات الدالة على الله و قدرته جل وعلا، فلم يكن التصريح تنزيلاً من الله و إنما عدل إلى ذلك بقوله تعالى: (تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلا..).

٥. (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**):

هذا القرآن نزل من قبل رحمان السماوات والأرض، فنزل من قِبَل ذي العزة والجبروت، ذي الملك والملكوت، ذي العرش المجيد، وعرشه عرش الجلال والعظمة، ففي السماء عرشه، وقد استوى عليه جل جلاله، والإستواء معلوم والكيفية مجهولة، فلا تشبيه ولا تشخيص ولا تعطيل ولا تكييف.

سبحانه وتعالى عما يصفون، ليس كمثله شيء – كل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك - ولما نزلت هذه الآية قال أبوجهل للوليد: إن محمداً يدعو الله والرحمن، وقد نهانا أن ندعو مع الله إلهاً آخر، فأنزل الله تعالى قوله: (**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّما تدعوا فله الأسماء الحسنى**) الإسراء، آية ١١٠.

وعرش الرحمن في السماء استوى الله عليه، أماعرش الرحمن في الأرض فهو قلوب العارفين، وقد استولى عليها، وقلوب المؤمنين محط نظر الله ورحمته.؛ أما العرش فمحط نظرها إلى جلال الله وعظمته وعرشه المجيد - أي محط نظر قلوب المؤمنين -، وكما جاء في الحديث الشريف عن حارثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انظر يا حارثة فإن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فذكر منها قوله: وأبصرت عرش ربي بارزاً.....). وفي الأثر: (ما وسعتني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن) والإستواء تقريب للعظمة بما هو محسوس، نظراً لأن الناس يعرفون عظمة ملوك الدنيا وعروشهم وخاصة ملوك فارس والروم، وجاء في عرائس البيان للبقلي في قوله (الرحمن على العرش استوى) قال: إن الله ذكر أنه خلق السماوات والأرض، ولم يذكر أنه خلق العرش، وهذه دلالة على أن عرشه عرش جلال وعظمة، وأنه استوى

بذاته جل وعلا، وأن الكل تحت جبروته، والله تعالى أعلم بمراده.
والاستواء صفة خاصة لله، منزه عن أن تدركها الأفهام والعقول، ولقد سئل مالك بن أنس عن الاستواء فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإن جرم العرش أعظم من السماوات والأرض، وهي إلى جانبه كخاتم في صحراء.

قال ابن عطاء: الاستواء إظهار القدرة، فكيف يحمله العرش وهو جل جلاله منزه عن الحلول، والعرش حدث، والله خالقه، والعرش وملائكة العرش محمولون بقدرة الرحمن، وإن قلب المؤمن حدث، وهو محمول بقدرة الله، وفي الحديث الشريف: (القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كما شاء).

اللهم ثبت قلوبنا على دينك، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

واعلم أخي المسلم أن الله مُنزَه عن النقصان وقائم بذاته، تعالى الله عن كل وهم وخاطر، قال ابن عطاء: استوى لكل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء آخر، وقيل عرشه في السماء معلوم، وعرشه في الأرض قلوب الموحدين له وهي محط نظر الله تعالى، لقوله عليه الصلاة والسلام: (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم).

هذا وإن سلطان الله وقهره بادٍ وظاهر، بدءاً من العرش إلى ما تحت الثرى، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة، ومنذ أن خلق الله الكون، فإن

هذا الكون يتحرك تماماً بنور أوامر الله لا يحيد عنها قيد أُنملة، وأخيراً فإن هذه الآية (الرحمن على العرش استوى)، قيل أنها رد على المشركين القائلين: إن لآلهتهم تصرفات الأرض وللجِنَ تصرفات الغيب.

١.(لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى):

وتتابع الآيات وصف عظمة سلطان الله وجبروته وقدرته مؤيدة ذلك بالأدلة والبراهين، فمن مظاهر العظمة في الإستواء على العرش إلى مظاهر القدرة وعظيم الملك، حثاً للمشركين على الإذعان والإيمان لمن (له مافي السموات والأرض)، ورداً على مزاعمهم وافتراءاتهم التي تقول: إن لآلهتهم تصرفات الأرض وأن للجن اطلاعاً على الغيب، ولذا ذ كرت هذه المخلوقات السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، حَصراً وقصراً في كونها لله، ولايشاركه فيها أحد.

فالملك كله لله، والسموات عوالم لايعلمها إلا الله، ولا يعلم ما فيها إلا الله،والله أمرناأن ننظر فيما فيها، لافيها،قال تعالى: ((قل انظروا ما ذا في السموات.....)). هذه السموات وما فيها ومن فيها ملك لله، وليس لأحد أن يزعم أنه يملك السموات، ويتصرف بالشمس والقمر، وبالليل والنهار وبالأفلاك، وحتى النمرود بهت أمام

ظاهرةالتحكم بحركة الشمس و لم يتجرأعلى الإدعاء بقدرته على التحكم بها، رغم أنه ادعى ولغبائه قدرته على الإحياء وا لإماتة. قال تعالى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) البقرة٢٥٨. وحتى الآن لم يأت، ولن يأت أحد ليزعم ذلك، وهل هناك ملك بلا مالك؟؟!، فالسماوات له، حصراً وقصراً وعقلاً ونقلاً، و(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيءقدير). أما ملكية الأرض وما فيها،ومن فيها،ومن عليها، فليست لأحدإلا له سبحانه، وإلاأين الآباء والأجداد والأسلاف؟أين هم ؟ وأين ماملكوا؟ وما دام الكل له، فكيف يذهب العاقل عن الطلب منه جل وعلا إلى سؤال سواه، وقديماً قيل:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب

ولما ذهب عطاء يطلب حاجات من الملوك، قال له وهب: ويحك يا عطاء أتترك الله الغني وتذهب إلى الفقير؟ أتترك من يظهر لك غناه وتذهب إلى من يظهر لك فقره ويخفي غناه؟ ويحك يا عطاء أتترك من يدعوك إليه وتذهب إلى من يتهرب منك؟

وهكذا علينا أن نقرع باب الكريم الذي يدعونا إليه ليل نهار.

والذين يطلبون المال والجاه والسعادة، كيف يجهلون مصادرها؟ وكيف يتجاهلون الجليل وهو يقول: أنا الملك أين الملوك؟ ويدعونا إليه ويَعِدُنا بالإستجابة ويقول تعالى: ((وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ)) [غافر: ٦٠/٤٠]. فهو الخالق والمالك والمتصرف في ملكه، أما ملكيته الخاصة فهي لقلوب العارفين به ولفضائل أعمالهم كقوله في الحديث الشريف: (الصوم لي وأنا أجزي به)، وخاصية الملكية هنا للتشريف والتعظيم وبيان جزيل الثواب، وإلا فالكل ملكه سبحانه وتعالى.

(له ما في السموات و ما في الأرض ومابينهما وما تحت الثرى) ملكية حقيقية، وتصرف حقيقي، لاينازعه فيهما أحد. (وما بينهما)، وماذا بينهما؟ الناس والدواب والجن والهواء والمطر والنبات، وغيرهم كثير و كثيرلا يعلمه إلا الله (وما تحت الثرى) وماذا تحت الثرى؟ بحار من ماء، بحار من نفط، بحار من سعير يتلظى يقذف بالحمم والبراكين وبما يزلزل الأرض، كنوز وثروات ومعادن،.أحياء دقيقة وغير دقيقة، وأموات وأحياء وما الله به أعلم.والذين يبحرون في علوم الفلك والجولوجيا يدركون تماما عظمة هذا الكون وعظمة مالكه.هذا وإن الملك لايستقيم أمره إلا إذاصانه علم وافر، فكيف بمن يملك الأكوان ويتصرف بها بفائق

الحكمة؟ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، لذا جاءت الآية بالصفة التالية وهي (العلم) قال تعالى:

٧.(وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى):

السر: ما أسره ابن آدم في نفسه، أما الذي هو أخفى من السر، فهو ما لا يطلع عليه إلا الله، ولا يقدر الشيطان على إفساده ولا يكتبه الملكان، قال ابن عباس: (السر ما حدثت به غيرك في خفاء، أما الذي هو أخفى من السر، فهو ما أضمرته في نفسك، ولم تحدث به أحداً)، وإذا كان الله يعلم السر وأخفى، فأين يهرب الإنسان؟ وكيف يستر نفسه عن علم الله وسمعه وبصره؟ وهو الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو الذي يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار، فسعة علم الله لا حدود لها. ولما جاء القرآن مذكراً بسعة علم الله أراد المشركون معرفة مدى هذا العلم، وتجادلوا في ذلك، وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي... كثيرةٌ شحم بطونهم، قليلةٌ فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، فقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا (وهو بعيد عنا) فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله قوله: (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا قلوبكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) سورة فصلت آية٢٢.

٩. (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى):

مما سبق من الآيات علمنا أن الله وحده هو منزل القرآن الكريم المعجز، ولا أحد يستطيع الإتيان بمثله، وما زال التحدي بأن يأتوا بمثله قائماً إلى يوم القيامة، وهذا يدل على الوحدانية، كما أنه لا أحد من البشر يزعم انه خلق الأرض والسماوات العلى والعرش المجيد، ومَلَكَ التصرف بهم، فالله وحده إذاً هو الخالق المالك الرحمن القدير العليم بالسر وأخفى.

و خلاصة ما مضى من الآيات: أن الله لا إله إلا هو؛ فالوجود كله شاهد على وحدانية الله، فسبحانه لا شريك له ولا معين ولا وزير ولا نائب ولا مماثل، هو واحد أحد فرد صمد له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والأسماء الحسنى خاصة بالله وغيرها من الأسماء يعروها النقص.

فالله منزل القرآن وهوالمالك الخالق.... له الأسماء الحسنى التي تقتضي أشرف المعاني وأفضل الأوصاف.

الخلاصة:

أننا نلمح في الآيات من (١-٨) الإيناس والتشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم، وحثه على الحنيفية السمحة، وأن القرآن أنزل لسعادة البشرية، ولسعادتك يا محمد ولتشريف أصحاب الخشية. فإن هذا القرآن تذكرة لهم، وعظمة هذا القرآن من عظمة مُنَزِلِه. الخالق المالك الرحمن القوي العليم الواحد الأحد الذي له الأسماء الحسنى. وهكذا تطوف الآيات في رحاب الكون والقدرة لتقرر أخيراً حقيقة التوحيد (الله لا إله إلا هو) ولتقرر أخيراً حقيقة أن القرآن منزل من عند الأحد الصمد الرحمن العليم بما يصلح البشرية.

لو أمعنا النظر في الآيات من (١- ٨) لوجدنا أنها تنطوي تحت أفكار عظيمة منها:

١. ملاحظة الله لرسوله وعنايته به ولطفه في قوله تعالى: (طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى).
٢. ملاحظة الله لعباده المؤمنين ورحمته بهم وإكرامه لهم في قوله تعالى: (تذكرة لمن يخشى).
٣. ثم مكاشفة الرسول صلى الله عليه وسلم بحقائق الجلال والعظمة والقدرة والعلم.

فالله الخالق، المالك، الرحمن، القوي، المهيمن على العرش إلى ما تحت الثرى، العليم، السميع، ثم تعلن الآيات عن أكبر حقيقة في الكون ألا وهي التوحيد (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى).

فعناية الله برسوله ورحمته وإشفاقه وإيناسه له وللمؤمنين، كل ذلك كان تمهيداً للمكاشفة التي توصل إلى حقيقة التوحيد.

الأسئلة الختامية:

والآن أرجو الإجابة عما يلي:

١. لم سمي القرآن قرآناً؟
٢. لماذا أنزل القرآن؟
٣. لمن يكون القرآن تذكرة؟
٤. لماذا جاءت كلمة "الرحمن" قبل كلمة "العرش" في قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى)؟
٥. ماذا ترى في الآيات من أسماء الله الحسنى؟
٦. إن تقرير التوحيد شامل لكل الآيات، أوضح ذلك؟

ماذا يمكننا أن نأخذ من هذه الآيات

١. يجب أن نفهم أولاً، ونُفَهم أبناءنا ثانياً، ونفهم الشعوب أخيراً، أن القرآن الكريم ما جاء إلا لإسعاد البشرية، فالإسلام دين السلام ودين الحنيفية السمحة، وأن نَنْشط في توضيح هذه الحقيقة لمن يزعمون أن الإسلام دين إرهاب وتخلف، ولو فهموا القرآن الكريم حقاً لما قالوا ذلك، لذا علينا جميعاً أن نغرس هذا المفهوم ونوضحه انطلاقاً من قوله تعالى: (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى).

٢. إن إيناس الله جل وعلا لنبيه ورحمته وشفقته به وبالمؤمنين تستدعينا إلى أن نكون رحماء فيما بيننا وذلك على نطاق الأسرة والأمة والمجتمع، فالمؤمن يَألف ويُؤلف، وكما جاء في الحديث الشريف: (المؤمن مع المؤمن كالجمل، إن انقيد انقاد، وإن أُنيخ على صخرة أناخ).

وقد وصف الله المؤمنين بقوله: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**) المائدة آية [٥٤].

وهكذا على المسلم أن يكون حريصاً على إشاعة جو الرحمة والشفقة على نطاق الفرد والمجتمع والإنسانية عامة، فالإسلام دين رحمة، وإنما أنزل القرآن الكريم لإسعاد البشرية، وكما قال عمر رضي الله عنه: (لو علم الملوك ما نحن فيه من سعادة لجالدونا عليها بالسيوف).

٣. على الدعاة أن يكونوا لينين في دعوتهم لقوله تعالى(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاغليظ القلب لانفضوا من حولك، وأن يخصوا بالتذكرة أصحاب القلوب، لأن القرآن (تذكرة لمن يخشى)، والله أرسل أحَب خلقه إليه في ذلك العصر وهو موسى عليه السلام إلى أبغض خلقه وأمره قائلاً: (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى)، فما دخل اللين في شيء إلا زانه، وما خرج من شيء إلا شانه.

٤. على المسلم أن لا يقلق أو يحزن أو يشقى في الدعوة إلى الله، وعليه أن يعتقد جازماً أن عليه أن يدعو، وأما إجابة الدعوة فمن الله وهو يهدي إلى سواء السبيل، فلا يقلق، وليصرف جهوده في الاستمرار بالدعوة دون ترقب النتائج، أوالحزن على تأخرها أو فواتها.

٥. إن الاسم ملازم للإنسان نفسياً ومادياً، فعليه أن يحسن اختيار أسماء أولاده، كما على كل منا أن يجهد نفسه ليوائم بين اسمه الجميل وأفعاله حتى تكون اسماً على مسمى لقوله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى)، فأفعاله جل وعلا توائم أسمائه جل وعلا،فعلينا التأدب بآداب الله؛ حتى نكون اسماً على مسمى.

الأسئلة و بعض الأجوبة:

١. لم أنزل الله القرآن الكريم؟ ج: لسعادة البشرية.

٢. من الذي تنفعه التذكرة؟ ج: من يخشى.

٣. بم اتصف مُنَزِّلُ القرآن؟ ج: خلق الأرض والسموات، الرحمن على العرش استوى، له ما في السموات و ما في الأرض، و ما بينهما و ما تحت الثرى...، و بإيجاز نجد الصفات التالية: الخالق، المالك، السميع، العليم، القوي، الرحيم، له الأسماء الحسنى.

٤. مِن صفات الله: الخالق، المالك، السميع العليم، القوي، الرحيم، أشر إلى الآيات التي توضح ذلك ثم فصل الحديث؟

٥. هل أحد من البشر يقدر على الزعم بأنه يمتلك تلك الصفات؟ أليس ذلك دليلاً على الوحدانية؟

٦. في المقطع إيناس ورحمة للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، أين تجد ذلك؟

ج. طه- عليك- لتشقى- المؤمنين- لمن يخشى

٧. في الآيات توافق بين الصفات والأفعال والأسماء، ما الآية التي توضح ذلك؟

ج. الرحمن على العرش استوى.

٨. من المخاطب في قوله (عليك) وعلام تدل (نا) في قوله أنزلنا؟

٩. ماذا تفهم من كلمة "استوى" ؟ وهل يجوز السؤال عن الكيفية؟

ج-استوى بجلاله وعظمته على أعظم المخلوقات.

١٠. الإستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عنها بدعة، أوضح ذلك؟

١١. في الآيات ما يدل على إحسان الله وحسن معاملته لنبيه، أين تجد ذلك؟

ج. لتشقى- هذا القرآن ليس لشقائك.

المقطع الثاني، الآيات من ٩ ــ ١٦:

الموضوع: موسى عليه السلام ذهب يطلب ناراً فوجد نوراً، وذهب في خدمة أهله فناجاه الله وأمره بخدمة دعوته.

فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ
ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾
وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا

*** شرح المفردات:**

- **هل**: بمعنى قد، والاستفهام هنا غرضه التحقيق، والمعنى أليس قد أتاك، قال ابن عباس: وقد أتاك.

- **امكثوا**: البثوا قليلاً، أي أقيموا قليلاً، امكثوا توحي بأنه كان يأمل بالوصول إلى هدفه بسرعة ثم العودة إلى الأهل لإسعافهم وخدمتهم والله أعلم.

- **آنست**: ظهرت لي ناراً، وأبصرت ناراً.

- **قبس**: شهاب من نار، (دل ذلك على وجود الظلام)،أو نار مقتبسة في رأس عود.

- **هدى**: أي هادياً، يهديني إلى الطريق، وهذا يدل على أن موسى عليه السلام قد ضل الطريق.

- **اخلع نعليك**: اخلع حذاءك تعظيماً للمكان.

- **المقدس**: المطهر.

- **طوى:** اسم للوادي، أو أنه قدس مرتين.

- **أخفيها**: أكاد أُخفيها من نفسي، وقيل لقد أخفاها الله عن الملائكة والأنبياء والرسل، وقيل لا أطلع عليها أحداً غيري.

- **فتردى**: تهلك.

- **اخترتك**: اصطفيتك.

- **فاستمع**: المطلوب حسن الاستماع، ومن حسن الاستماع سكون الجوارح.

- **لا يصدنك**: لا يصرفنك عن الإيمان بها.

المناقشة: حاول أن تبحث عن الإجابة من الآيات:

١. لم حَدَّثَ الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عن موسى عليه السلام؟

٢. لماذا ظهرت النار؟ وما أثر ذلك على نفس موسى عليه السلام؟

٣. بم اتصفت تلك الليلة من حيث الجو؟

٤. ما أول أمر تلقاه موسى من ربه؟ وبم يوحي لك؟

٥. مرة خاطبه الله بقوله "أنا ربك" وأخرى خاطبه "إنني أنا الله" فبم توحي لك هاتان العبارتان؟ ولم جاءت كلمة ربك أولاً؟

٦. لم أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام بخلع نعليه؟

٧. بم توحي الألفاظ التالية: (أتاك، آنست، ياموسى، نودي، أنا، ربك)؟

٨. ما الفرق بين (امكثوا) وأقيموا؟

٩. هل ضل موسى عليه السلام الطريق؟ وما الدليل؟

١٠. ما الغرض من تكرار كلمة (يا موسى) عليه السلام؟

١١. المكاشفة أولاً ثم المجاهدة، أين تجد ذلك في الآيات؟

١٢. ما الآية التي جمعت بين التوحيد والعبادة؟

١٣. الصلاة من العبادة، فلماذا خصت بالذكر؟

١٤. ما الغرض من الساعة؟

١٥. وما الحكمة في إخفاء الساعة؟ أوضح ذلك.

١٦. التخويف بالساعة رحمة، أوضح ذلك.

١٧. الغفلة والصَدَ عن الايمان مآله النيران. ما الآية التي تدل على ذلك؟

١٨. لماذا يجب الإبتعاد عن الصَادَ عن الإيمان أو عن قرين السوء؟

١٩. لا تسمح للآخرين أن يقودوك إلى الهلاك. أين تجد ذلك؟

٢٠. ما أول واجب على المكلفين؟

٢١. كم مرة تكرر الضمير (أنا) وبم يوحي هذا التكرار؟

٢٢. علام يدل تتالي الضميرين (إنني أنا) وتكرارهما؟

٢٣. ألاح الله له نارا فلما جاءها وجدها نوراً، أوضح ذلك؟

التفسير:

٩. (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى):

مازال الخطاب من مطلع السورة حتى الآن وهو يخص محمداً صلى الله عليه وسلم، نجد ذلك في كاف الخطاب (أنزلنا عليك)، - (وهل أتاك) ومازال الحديث إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فالله جل جلاله يقص على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم قصة كليمه موسى عليه السلام، وكيف أوحى إليه، وكيف رعاه صغيراً وكبيرا ورسولاً؟ وكيف أنجاه ونصره؟ كذلك يا محمد (إنا لننصر رسلنا)، فلك يا محمد يا رسول الله قدوة وسلوان بمن سار قبلك على الطريق، فأيدناه وسددناه فكيف لا نؤيدك ولا نسددك؟ ومن المعلوم أن الإنسان يستأنس بتجارب من يشابهه، ولذا قص الله جل وعلا قصص الأنبياء عليهم السلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مؤانسة له وملاطفة وتبصرة.

- (هل أتاك حديث موسى): ذكر الله جل وعلا حال كليمه موسى لحبيبه محمد عليهما السلام، و (هل) هنا استفهام وإثبات وإيجاب، أي أليس قد أتاك؟.

ونلمح في ظلال كلمة (أتاك) إيحاءات كثيرة منها، أنها توحي بأن محمداً كان ينتظر المزيد من لطف الله ومؤانسته بقصص أحباب الله،

وكأنه على موعد معها، وهناك فرق بالإيحاء بين (أتاك) وما فيها من التودد والمحبة واللطف وبين كلمة (جاء)، أما كاف الخطاب فهي تخصيص الحديث لمحمد صلى الله عليه وسلم تشريفاً له وإكراماً، رغم أنه سيصل إلى عامة الناس فيما بعد. إن (هل) بما توحي به من تشويق وإثارة وتقرير تدفعنا لنقول وما حديث موسى؟ فيأتي الجواب الرباني:

١٠. (إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى):

لقد أراد الله أن يربي موسى في مدين على يد النبي شعيب عليهما السلام وليتأدب بآداب الأنبياء، ومن ذلك أنه قضى أتم الأجلين، ثم جذبه الحنين إلى أرض الوطن ومسقط رأسه حيث الأهل والأحباب، لذا استأذن موسى عليه السلام النبي شعيب عليه السلام بالسفر إلى مصر ليرى أمه، فلما سار مع زوجه وأهله ضل الطريق، فلقد كان موسى يسير مع القافلة ليلاً فإذا حل النهار انعزل عن القافلة، وذلك لغيرته الشديدة على زوجه، وكانت الليلة مظلمة شديدة البرد وقد ولد له ولد فيها، فحاول أن يقدح النار ليدفئ أهله ويطعمهم، فتعذر عليه إشعالها، فألاح الله له ناراً من بعيد فأحس بالأنس والفرح؛ وذلك ليخرجه من أهله، وليصطفيه لذاته وليستدرجه إلى جانب الطور، فكلما دنا من النار هربت منه، ورأى عجباً، كأنها لا تسمح لأحد بالأخذ

منها، وكان الذي بهره أنه رأى في وسط النار شجرة بالغة الحسن شديدة الخضرة، لقد كان ذلك شيئاً يأخذ بالألباب، فلا النار تغير حسن الشجرة، ولا خضرة الشجرة تغير من حسن ضوء النار، وهكذا فلقد كانت عند موسى ناراً وكانت عند الله نوراً. قال ابن عباس: رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها، وسمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً، فخاف وبُهِتَ وأُلْقِيَت عليه السكينة. فقال وهب: ثم لم تزل النار تُطمِعُه ويطمع فيها، ثم نظر إلى فرعها، فإذا خضرتها ساطعة في السماء، وإذا النور ساطع بين السماء والأرض، له شعاع تَكِلَ عنه الأبصار.

١١. (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى):

في هذا الجو المهيب والمبدع حيث السكون يخيم على الوادي وجلال التجلي يتبدى في سحر الجمال المحيط بالنار ومَنْ حولها. هنا نودي موسى باسمه: (ياموسى)... فتملكته الخشية وتنزلت عليه السكينة رغم الظلام والضياع والبرد، وإذ بصوت لم يسمع له مثيلاً من قبل يخترق سدف الظلام وحجب الخوف؛ ليلقي عليه السكينة والطمأنينة والود والمحبة، هذا الصوت يناديه (يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى)، يا إلهي ما ألطف هذا النداء؟! وما أجمل أنسه؟! هذا النداء يبعث في النفس السكينة والمحبة والطمأنينة، فموسى لا يعرف أحداً في هذه المنطقة وهو الضائع عن الطريق،

الباحث عن الهادي، فعندما ينادي منادٍ باسمه لاشك أن كل مخاوفه ستتبدد، وسيشعر أن هناك من يعرفه، ويعرف اسمه وينديه فمن يكون ذلك إلا الله؟ يا إلهي لقد وجدت الطريق و وجدت الهادي! تمالكت موسى أحاسيس الجلال والهيبة مع الجمال والسكينة، فما أمامه عجب، وما يسمع أعجب من العجب؛ لذا طرب لذلك النداء وملأ جوانحه بالطمأنينة والخشية والعظمة في آن واحد. ويأتي بناء الفعل للمجهول (نودي) لإظهار مزيد من التشويق لسماع القصة، ولمعرفة من المنادي، ولإضفاء مزيد من الجلال والعظمة والهيبة والتطلع بحثاً عن المنادي، فموسى لم يكن يعرف من المنادي؟. وقيل أنه لما رأى أن خضرة الشجرة لا تطفئ النار، وأن شدة النار لا تحرق الشجرة، علم أنه لا يقدر على ذلك إلا الله جل جلاله.

١٢. (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى):

ويأتي بعد الفعل المبني للمجهول، ضمائر العظمة المتتالية (إني – أنا)، لتزيد النفس إجلالاً وهيبة، إن تلك الضمائر وتتاليها لا تليق إلا بالجليل، ولكن الله بجلاله يخبر موسى عليه السلام عن ضمائر المتكلم العظيمة بقوله:(إني أنا ربك) وذلك بلا واسطة من الملائكة؛ ليسكن روعه ويلطف من إحساسه بالهيبة التي ملأت نفسه من خطابٍ لا يرى فيه مُخاطِبَه، وهكذا فشأن الرب الرفق بالمربوب، (أنا ربك) ما

ألطف هذاالكلام ! (أنا ربك) الذي خلقتك وأطعمتك وسقيتك ورعيتك ورحمتك، أنا ربك يا موسى لا تخف! وفي هذا الجو تكون كلمة ربك (رب) مع كاف الخطاب أروع ما تكون وأجمل ما تكون؛ حيث تسرع في الوصول إلى قلب موسى عليه السلام؛ لتهدئ من روعه، وخاصة أنه خصه بالخطاب وما في ذلك من خصوصية تشريف وتودد ورحمة وإشفاق، ومن منا لا يمتلئ قلبه حباً عندما يسمع من يناديه، وهو في أحلك الظروف حيث الظلام والبرد والريح والضياع والخوف والقلق والعجائب المدهشة؟ من منا لا يرتاح،إذا كان في حالة فزع وضيق وفجأة يسمع صوت والده يقول له يا بني أنا أبوك فلا تفزع؟! ولله المثل الأعلى.

وبعد قوله تعالى: (إني أنا ربك)، جاء أول أمر رباني لموسى عليه السلام يقول له: (فاخلع نعليك)، ولماذا؟

(إنك بالواد المقدس طوى) وهو الوادي الذي تقدس بإيجاد كلام من عند الله فيه.

ولكن لماذا اخلع نعليك؟ قيل في ذلك الكثير ومنه:

١. أن نعليه كانتا من جلد حمار غير مزكى (أي غير مدبوغ).

٢. أو ليأخذ البركة من الواد المقدس.

٣. أو اخلع دنياك قبل أن تأتي إلينا.

٤. وقيل إذا جئت إلينا فطهر باطنك وظاهرك.

٥. قال الإمام علي كرم الله وجهه في علة الخلع: للخشوع والتواضع عند مناجاة الله وإعظاماً للمكان، وهذه عادة الناس عندما تخاطب الملوك، ولله المثل الأعلى.

٦. وقيل إن الله بسط له بساط النور والهدى، فلا ينبغي له أن يطأ بنعله البساط.

٧. وقيل أراد الله ملاطفة موسى عليه السلام وإشغاله بأبسط الأشياء؛ حتى يخفف عنه سطوة التجلي والتكليم، لأن موسى ظن أن الله لا يتكلم إلا بعظائم الأمور، فهاب جلاله فلاطفه الله بإشغاله بخلع نعليه.

- وجاء في كتاب عرائس البيان في حقائق القرآن للبقلي عن قوله تعالى: (اخلع نعليك): أي اقطع عنك الخلائق، فإنك بأعيننا ولا تشغل قلبك بغيرنا قولاً وفعلاً.
- وقيل أراد الله أن يقطعه عن الطلب والهرب؛ ليجعله خالصا له. فالرِجْل وسيلة الهرب،واليد وسيلة الطلب،(فاخلع نعليك) أي اخلع ما برجلك، و (ألقها) أي ألق ما في يدك مما تملك ومما تعتمد عليه، وتعال إلينا، فَمَنْ نظر إلى الله لا ينظر إلى أحد سواه. لذا قال الشاعر:

لما تيقنت أني لست أبصركم أغمضت عيني فلم أنظر إلى أحد

- ولما قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) طه آية [١٣١]، أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بوحي الآية، فلم ينظر في المعراج إلى شيء إلا إذا أمره جبريل. ولذلك قال الله عنه مادحاً: **(مازاغ البصر وما طغى)**، فقد نهاه الله أن ينظر إلى ما سواه، ليصفو نظره إلى خالقه. **(إنك بالواد المقدس طوى)** قدس الله هذا الوادي بتجلي كلامه فيه فهذا الوادي قد غمره ظل تجلي التكليم، وقيل: ولله أن يقدس ما يشاء من الأزمنة والأمكنة، وليس لنا إلا الإذعان سواء أظهرت لنا الحكمة، أم لم تظهر لقصور في عقولنا.
- **طوى**: اسم للوادي، وقيل بمعنى قدس مرتين.

١٣. (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى):

افتتح الله الخطاب بقوله: (أنا اخترتك) وهو غاية اللطف وغاية الاصطفاء والعناية، وتتكرر (أنا) الدالة على عظمة الله وتفرده بها جل وعلا، (اخترتك) تعني اصطفيتك، وكفى الإنسان شرفاً أن يصطفيه الله. قيل لموسى: أتدري لم خصصتك بالتكليم؟ قال موسى عليه السلام لا يارب، قال الله تعالى: لم يتواضع إلي أحد مثل تواضعك. إن هذا الإصطفاء الرباني لموسى عليه السلام من بين

جميع خلقه، وهذه التربية التي كانت على عين الله **(ولتصنع على عيني).** وهذا الأدب النبوي الذي تلقاه موسى على يد شعيب عليهما السلام، كل ذلك كان غرضه التهيئة لملاقاة أطغى من على وجه الأرض في ذلك الزمان وهو فرعون.

ومن هنا ندرك مدى الأهمية العظمى لإعداد الدعاة، والتي غفلنا عنها في هذا العصر، فكان هناك دعاة على أبواب جهنم ودعاة خدم للسلاطين، وقليل من الدعاة الربانيين في وقت كثر فيه الطغاة وكثرت فيه الفتن.

(فاستمع): بعد الإصطفاء يطلب حسن الإستماع، استعداداً للمكاشفة الربانية، فلا معنى للإصطفاء بدون أن يأتي بعده الإستماع. ومن مظاهر حسن الإستماع (سكون الجوارح، وغض البصر، والإصغاء وحضور العقل، والعزم على العمل). كل ذلك حتى لا يلهو القلب وكما قالوا: أول العلم الإستماع، ثم الفهم، ثم العمل، ثم نشر العلم والإخلاص لله فيه، فإذا أحسن العبد الإستماع إلى كتاب الله جعل الله في قلبه نوراً. إذن (استمع) يا موسى لما يوحى إليك، لذا ارتَفَعَ موسى إلى أعلى الوادي، وأحسن الإستماع إلى ما يوحى إليه، فكان أول الوحي إعلان التوحيد.

١٤. (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي):

(إنني أنا) لما سمعها موسى قال: (أَنْتَ أنت)، فإنه لم يسمع أحداً من البشر يقول إنني أنا؛ فتتالي الضميرين إنما يكون لتبيان عظمة الجليل وتفرده ووحدانيته، فلقد جاء التأكيد والتقريرلموسى ووقر في قلبه أن من يكلمه إنما هو الله، وبعد التأكيد جاء نفي الألوهية عن غيره **(لا إله)**، وبعد ذلك إثباتها له جل وعلا **(إلا أنا)**. وقد ورد في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام أفضل ما قاله النبيون من قبلي (لا إله إلا الله) وهي أساس الدين وأساس قبول الأعمال، ولذا روي أن موسى بن عمران عليه السلام قال: يا رب علمني شيئا أذكرك به فقال: قل لا إله إلا الله، قال إنما أردت شيئا تخصني به، فقال: لو أن السموات السبع ومن فوقهن في كفة ولا إله إلا الله في كفة، لمالت بهن لاإله إلا الله.

وجاءت (إن) للتأكيد، و (أنا) لتقوية الخبر وبيان عظمة المتكلم، فكلما عظم المتكلم استوجب الإصغاء إليه أكثر، فبدء الوحي كان بالتعظيم لله، وبالتأكيد أنه الموحي العظيم الذي تتوله القلوب بحبه وتعبده.(الله) وبعد ذلك كله يأتي الأمر بالإقرار بالعبودية لله قولاً وعملاً، والعبودية هنا شاملة لكل جوانب الحياة، وبعد الشمولية والعموم يأتي التخصيص بذكر الصلاة لأهميتها في مجال الحياة والعبادة، وإقامة الصلاة تعني الإتيان بها على وجهها الأكمل، **(لذكري)** أي أقم الصلاة لأجل أن تذكرني وقيل في معنى **(لذ كري)** أي:

١. لتذكرني فيها.

٢. إن الصلاة ذكر لقوله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون).** سورة الجمعة آية رقم ٩.

٣. أي إذا نسيت الصلاة فصلها لذكرها لأنها لا تسقط بالنسيان ويذهب جمهور العلماء إلى أن القضاء واجب على النائم والغافل لقوله صلى الله عليه وسلم: من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها.

١٥. **(إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى):**

الساعة: ساعة القيامة أو ساعة الحساب، وذكر الساعة حافز للمؤمن للإستعداد والإستزادة من العمل الصالح، وللكافر لعله يكف عن كفره عندما يعلم أن ساعة الحساب قادمة، **(أكاد أخفيها)**: أي أظهرها للجزاء، وقيل أكاد أُخفيها من نفسي، والله أخفاها عن الملائكة والرسل ولكن لا تخفى عن نفس الله أبداً، والله أخفى الساعة لحكم كثيرة منها، حتى لا يُكره الناس على العبادة خوفاً منها، وحتى يُجِد المؤمن في الطاعة، ولقد أخفى الله رضاه في طاعاته، حتى يجد المرء في كل الطاعات كما أخفى غضبه في المعاصي، وأخفى ليلة القدر حتى يجد المؤمن في الطاعات، وحتى ينال مزيداً من الأجر، وأخفى

الساعة كما أخفى الصلاة الوسطى بين الصلوات، وكل ذلك رحمة منه وكرماً.

(لتجزى كل نفس بما تسعى) أي لأجزي كل عامل بعمله، لقوله تعالى: **(اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون(16))** سورة الطور.

١٦. (فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى):

أيها المكلف لا تتبع سبيل من كذب بالساعة واتبع هواه فإن وافقته خبت وخسرت وهلكت.

وفي سورة الصافات عرض لمصير أولئك الذين يصدون عن الإيمان بالله والإيمان بالساعة، قال تعالى: **(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧))** سورة الصافات. فلننظر إلى من نخالل (أي من نصادق)، ولقد قيل: لا تصاحب إلا صالحا ولا يأكل طعامك إلا تقي.

قال الشاعر:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

والرسول صلى الله عليه وسلم يرسم لنا نهاية من يصاحب قرين السوء بقوله صلى الله عليه وسلم:.

حدثني موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا أبو بردة بن عبد الله قال سمعت أبا بردة بن أبي موسى عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. متفق عليه.

والصديق الكافر له سمتان الأولى: يصدك عن الدين، والثانية: يحثك على اتباع الهوى، ونتيجة ذلك كله الهلاك، ففي اتباع الدين سعادة، وفي اتباع الكفر شقاء وهلاك.

والآن لو أمعنا النظر ثانية، ولكن في الآيات من (٩ – ١٦)، لوجدنا النسق الرباني الفريد، إذ تتناغم المعاني في إحساس روحي واحد، ينساب من الخطاب لمحمد عليه السلام إلى الخطاب لموسى عليه السلام، وصولاً إلى تقرير حقيقة التوحيد وهي **(إنني أنا الله لا إله إلا أنا)**، ومن ثم ما يترتب على الإقرار بالتوحيد من السلوك العملي في العبادة، **(فاعبدني)** فالرب واحد، والرسالة واحدة، والهدف واحد.

لذا نجد هنا كما وجدنا من قبل:

١. الملاطفة والمؤانسة والمحبة تهل علينا، ونحن نعيش أجواء ضياع الطريق، والإحساس بالبرد الشديد والظلام مقتربين من الوادي المقدس، إذ نسمع النداء الرباني الحنون الرحيم يقول: (ياموسى)، فما أجمل هذا النداء، وما أجمل هذا الصوت يارب أنت لطيف لم تزل. وليتصور كل واحد منا أنه قد ضل الطريق، وأنه فقد الطعام، وأن معه أسرته، وأنه قد تركهم ليبحث لهم عما يعينهم، وقد ضاعوا وجاعوا في ليلة شديدة البرد شديدة الريح دامسة الظلام في هذا الجو المخيف، والذي يتوجس فيه الإنسان خيفة، ويترقب مفاجآت قد تكون غير سارة، في هذا الجو ينبعث صوت ندي حنون وهو يناديك باسمك، ألا تشعر بالطمأنينة والسعادة بأن هناك من يرحمك ويعينك ؟لا بل ويعرف اسمك بالضبط، فأي فرح وأية سعادة ستغمرك؟ لذا إذا استطعنا أن نتصور هذه الحالة نكون بذلك قد اقتربنا قليلاً من معرفة وإدراك أثر جمال الصوت الرباني ولطفه على موسى عليه السلام وهو يناديه في الظلمات أن (يا موسى).

٢. ومن الملاطفة إلى المكاشفة إذ يتذاوب موسى عليه السلام من فيض الجلال والوحدانية والربوبية الذي يغمره لينتقل به إلى إقرار العبودية لله.

٣. وهكذا من الملاطفة إلى المكاشفة، إلى تقرير الوحدانية (إنني أنا الله لا إله إلا أنا)، فالرسالة واحدة، ألا إن الدين عند الله الإسلام، والأنبياء إخوة والمؤمنون إخوة، وهكذا نجد تشابه المشاهد وروعة كل منها على حدة، كما نجد النسيج القرآني لحمته وسداه جلال وإبداع وإعجاز.

خلاصة المعنى العام للآيات:

تستمر الآيات في مؤانسة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتسليته من خلال ذكر قصة الكليم موسى عليه السلام إلى الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام، ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم مدى رعاية الله لرسله واصطفائهم، حتى يسير الرسول صلى الله عليه وسلم على درب المجاهدة بعد المكاشفة كما سار موسى عليه السلام، قال تعالى: **(أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)**، الأنعام: ٨٩.

واذ تبتدئ الآيات بالتشويق لسماع حديث موسى عليه السلام،وكيف أنه خرج في طلب قبس من النار لتدفئة أهله وقضاء حاجاتهم، ولكنه ظفر بالنور الرباني وبالوحي والتكليم؛ ليعلم الناس والمؤمنون خاصة

في هذا العصر أنه من مشى في حاجة أخيه مشى الله في حاجته يوم القيامة، وإن أحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله.

وهكذا أثابه الله فضلا عظيما أكثر مما طلب، وما كانت النار إلا استدراجاً لموسى عليه السلام؛ ليتم أمر الله بتبليغه الرسالة التي من أجلها اصطفاه، وفي هذا التبليغ نجد لطف الله بموسى عليه السلام، حيث ناداه باسمه، وذكره أنه ربه، وعرفه بذاته جل وعلا، ثم أوحى إليه بالأساس الذي من أجله بعث الله الرسل ألا وهو التوحيد: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا)، فالمطلوب من موسى عليه السلام الإقرار بالعبودية وتنفيذها عملياً وأهم ما فيها استمرار الصلة بالله من خلال (الصلاة)، والإقرار بيوم القيامة، والإياب إلى الله؛ لتجزى كل نفس بما عملت، ثم الإنصراف عن الكفرة وعن أولئك الذين يتبعون أهواءهم، وعدم الإصغاء إليهم، وألا يترك لهم سبيلاً عليه، وبالتالي يجب الابتعاد عن قرناء السوء.

الأسئلة الختامية (أسئلة التقويم):

١. لم قص الله حديث كليمه موسى على حبيبه ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام؟
٢. لماذا أظهر الله له ناراً؟
٣. لماذا ذهب موسى في طلب القبس؟

٤. ما الفرق بين امكثوا وأقيموا؟ وعلام توحي الأولى؟

٥. ماذا تجد من إيحاء في الكلمات التالية: (أتاك) – (آنست) – (نودي) – وتكرار (أنا)؟

٦. لم قدس الوادي؟ ولم أمر موسى عليه السلام بخلع نعليه؟

٧. ما مظاهر الإستماع الحسن؟

٨. طاعة قرين السوء تؤدي إلى الهلاك. أين تجد ذلك في الآيات؟

٩. كم مرة تكررت (أنا) ؟

١٠. ما أول أمر تلقاه موسى؟ ولم؟

١١.عدد أفعال الأمر في الآيات وبين الغرض منها؟ ١٢لِمَ أُغْفل ذكر أهل موسى خلال هذه الفترة؟وماذاكان حالهم؟ومن تكفلهم؟ وكيف وجدهم موسى عند عودته؟

كيف نترجم القرآن الكريم في واقع حياتنا؟

١. إن نجاح المربين والمصلحين يكمن في شكل أساسي في القدرة على صناعة الحب، وتداوله بينهم وبين من يتعاملون معهم، ويصلحونهم، فلا بد من إظهار المودة لهم والشفقة عليهم، واستخدام التشويق والتعزيز وضرب الأمثال لمؤانستهم وتشجيعهم، ولبعث الطمأنينة في نفوس من نتعامل معهم، وإنجادهم في ساعات الضيق لقوله تعالى: (هل أتاك حديث موسى)؟ فالله قص على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم قصة موسى عليه السلام بكل الود والحب

والتشويق والسلوان، كما يقص الوالد الحنون لولده الحبيب قصة جده، ولله المثل الأعلى. ولابد من تعريفهم بذوات المربيين والمصلحيين لقوله تعالى: (إني أنا ربك)، فقد عَرَّفَ الله ذاته لموسى عليه السلام بما يبعث فيه الطمأنينة، فأنا ربك الذي يطعمك ويسقيك ويحميك....و بكل ما توحي كلمة رب من لطف وفضل ونعم، وما تبعث في العبد من الطمأنينة والسلام....و لابد من توضيح مدى قدرات المصلحين وخبراتهم للشباب، وأنهم أي المصلحين يسخرون هذه الخبرات في خدمة الأبناء والمجتمع ولمصلحتهم فقط وابتغاء وجه الله ورضاه،ثم ماذا يمكن أن يأخذ الله جل جلاله نفعاً من هداية موسى عليه السلام وقومه وهوالغني الحميد؟ وإنما لحبه لنا، ولأجل أن نعيش سعداء في طاعته بعيدين عن مواطن الشقاء في عصيانه. علماً بأن طاعتنا له جل وعلا لا تزيد في ملكه، وعصياننا له جل وعلا لا تنقص من ملكه وجبروته شيئاً.

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي صلي الله علية وسلم، فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى، أنه قال: (يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما؛ فلا تظالموا. يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي! كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم. يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي! إنكم لن

تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقي قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه). رواه مسلم

وللأسف فإن كثيراً من الآباء والمصلحين يهملون هذه الأسس، ولذا يتعثرون في طريق الإصلاح، وربما يُعثرون غيرهم ويعقدونهم.

٢. يجب على المسلم أن يخدم غيره لوجه الله، وأن يجهد نفسه في ذلك، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ومن مشى في حاجة أخيه مشى الله في حاجته يوم القيامة، وهذا موسى عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قد سار ابتغاء جذوة من نار لإصلاح حال أهله وليستدفئوا، كما سار ابتغاء هادٍ يدله على الطريق فوجد الحياة الهانئة، ووجد نور التجلي ووحي الرسالة ففاز بخيري الدنيا والآخرة، فهل لنا أن نسير في حاجات مجتمعنا وما

يصلحه؟ ونضحي ونتحمل كما تحمل سيدنا موسى عليه السلام مشقةالبحث في الظلام والبرد والمجهول عما يصلح أهله؛ فوجد العليم الخبير يناجيه؛ ليعطيه ما يصلح أهله ونفسه وقومه.

٣. التواضع سمة نجاح المصلحين والمربين، حيث لزاماً عليهم أن يهدموا الهوة بينهم وبين من يتعاملون معهم، وإن اعترى الصغير خشية أو رهبة، أو اعترى الفقير أو صاحب الحاجة أو الضال، إذا اعترى هؤلاء الخوف لبعد المسافة بين المنزلين والمكانتين فعلى المصلحين والدعاة أن يهدموا هذه الهوة بينهم وبين أبنائهم أو عمالهم أو من يعولون، ولذا شاغل الله موسى عليه السلام وآنسه ولاطفه عندما أمره بخلع نعليه، وكذا يجب أن نلاطف ونتواضع لمن نريد إصلاحهم، ولقد كان موسى عليه السلام مثالاً للتواضع فكما جاء في الأثرقال الله جل جلاله: (أتدري ياموسى لم خصصتك بجلالي وتكليمي ؟قال لايارب،قال الله:لأنه لم يتواضع أحد لجلالي مثل تواضعك) فمن تواضع لله رفعه الله.- للمزيد إرجع إلى تفسير القشيري.

٤.علينا في عملنا التربوي أو الدعوي أن نهتم بالأسس أولاً، وأهمها عقيدة التوحيد لقوله تعالى: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري)، ثم بكيفية غرسها في النفوس؟ وذلك بتوضيحها

واستخدام الدليل المنطقي، فالساعة قادمة، ومنطق الحياة والعلوم يؤيد ذلك، والساعة للجزاء لقوله تعالى: (من يعمل مثقال ذرة خيراً يرة)، ولقوله تعالى: (لتجزى كل نفس بما تسعى). وقرين السوء يودي بك إلى الهلاك (فتردى) وواقع الحياة يؤيد ذلك بالدليل المنطقي الواقعي. فبعد التوحيد يأتي التكليف بالعبادات.

وأوجز فيما يلي أهم ما يجب أن نسلكه في حياتنا وحسب الآيات من ٩ – ١٦:

١. حسن الإصغاء:علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم أدب الإصغاء، فكان لا يصرف وجهه عن محدثه، ولا يحدثه إلا بعد أن يفرغ من كلامه، أي لا يقاطعه الحديث، لقوله صلى الله عليه وسلم: (أفرغت يا عماه؟ أفتصغي أحدثك؟). هذا أدب حواره مع الكافر عتبة أو الوليد بن المغيرة وهذا لطفه،فكيف يكون حواره مع المسلم؟! فحبذا لو ساد هذا السلوك في مدارسنا وعند طلاب العلم وفي مجالسنا العامة والخاصة، والتي أصبحت تفتقر إلى كثير من آداب الاستماع،علماً بأن للإستماع فوائد جمة؛ فاللهم اجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه. وقد وجدت هذا الأدب الإسلامي سائداً عند غير المسلمين في بلاد الغرب وافتقدته في كثير من المجتمعات العربية للأسف الشديد، وأرجو الله أن يلهمنا الصواب وأن يهدينا سواء السبيل وأن يردنا إلى دينه رداً جميلاً.

٢.لطف التعارف بين المتقابلين، حيث عرف الله ذاته لموسى بقوله: (إني أنا ربك).

٣.رفض قرين السوء لقوله تعالى: (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى).

٤.الاهتمام بطهارة الظاهر والباطن، فطهارة الظاهر بقوله تعالى: (اخلع نعليك)- وطهارة الباطن واضحة بقوله تعالى: (ألقها يا موسى)، أي ألق من قلبك كل ماتعتمد عليه سوانا.

٥.الاهتمام بعد التوحيد بالصلاة، لقوله تعالى: (وأقم الصلاة لذكري).

٦.الهوى يردي صاحبه ويردي قرينه، لقوله تعالى: (واتبع هواه فتردى)، ولقوله في سورة أخرى عن قرين السوء: (تالله إن كدت لتردين ولولا نعمت ربي لكنت من المحضرين).

٧.تقديس الأماكن التي قدسها الله، لقوله تعالى: (إنك بالوادي المقدس طوى).

٨.التضحية في خدمة الأهل والمجتمع، لقوله تعالى: (لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى).

المقطع الثالث: من آية ١٧ ـ ٣٦:

١.الموضوع: معجزات التأييد والتكليف.

عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ
بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن
لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ
أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ
أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾

٢. شرح المفردات:

- **أتوكأ**: أعتمد عليها في المشي.
- **أهش**: أخبط بها ورق الشجر فيتساقط فتأكله الغنم.
- **مآرب**: حاجات ومصالح ومنافع.
- **تسعى**: تتحرك بسرعة كأنها جان والجان هو أسرع الحيات على صغره.
- **سيرتها**: حالتها.
- **جناحك**: عضدك، يقال لكل ناحيتين جناحان، وجناحا الانسان جنبهما، وسميا جناحين لأن الطائر يجنح بهما أي يميلهما.
- **بيضاء**: أي منيرة كشعاع الشمس من غير سوء.
- **طغى**: بغى وبالغ في الفجور وآثر الحياة الدنيا ونسي الرب.
- **عقدة**: ما يمنع من كثرة الكلام وفصاحته.
- **يفقهوا**: يعلموا.
- **وزيراً**: مساعداً.
- **اشدد**: قوني به.
- **أزري**: ظهري.
- **سوء**: الرداءة والقبح، وكُنيَ عن العورة بالسوءة، وهوهنا المرض- أي كني بالسوء عن البرص.

٣. المناقشة

أجب عما يلي من خلال فهمك للآيات:

١. لم سأل الله موسى عليه السلام عما بيمينه وهو جل وعلا يعلم ذلك؟

٢. أضاف موسى عليه السلام إليه شيئاً لم يسأل عن ملكيته، وأفاض فيما لم يسأل عنه ـ أوضح ذلك؟

٣. لم قال الله له ألقها؟

٤. ثمة آيتان إحداهما خارجية والأخرى داخلية من نفس موسى عليه السلام. أوضح ذلك؟

٥. بعد التأييد بالمعجزات جاء التكليف بالدعوة. أوضح ذلك؟

٦. ماذا طلب موسى من ربه بعد التكليف؟

٧. عدد أفعال الأمر وبين الغرض من كل منها؟

٨. إن تغير الحال وبشكل مفاجئ وإلى ما يفزع يزيد من مخاوف المرء. أوضح ذلك من خلال الآيات؟

٩. من أنفع أخ لأخيه؟ ولماذا؟

١٠. كانت مطالب موسى عليه السلام أخلاقية ولم يطلب شيئاً لنفسه. أوضح ذلك؟

١١. سار موسى في طلب قبس من النار فجاءه النور. ما المقصود بذلك؟

١٢. قارن بين قول موسى عليه السلام (نسبحك كثيراً) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا أحصي ثناءً عليك)؟

١٣. قيل (إنّ كلّ ما تَسْكُنُ إليه ستهرب منه عما قريب سوى الله). ناقش هذه العبارة على ضوء الآيات الكريمة وواقع الحياة المعاصرة؟

١٤. ما آلة الهرب وما آلة الطلب وما صلة هاتين الآلتين بموسى عليه السلام؟

تفسير الآيات من (١٧ – ٣٦):

١٧. (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى):

ما الفائدة من هذا السؤال والله عالم ما بيده؟ والجواب أي أن الله قال لموسى عليه السلام هل تعرف حقيقة ما في يمينك؟ إنه عود يابس، ثم إنه تعالى جعل العود ثعبانا ليدل على كمال قدرته جل وعلا.

جاء في كتاب عرائس البيان في حقائق القرآن للبقلي في شرح هذه الآية (كاد موسى عليه السلام يذوب من صولة العظمة وكبرياء الله، فشغله الله بالسؤال عما في يمينه) وهو أي الله جل وعلا أعلم بحقيقة العصا من موسى عليه السلام، فأراد الله مُبَاسطة موسى وملاطفته وإيناسه في جو الجلال والعظمة تماماً – ولله المثل الأعلى-.

كما يفعل العظماء والملوك عندما يدخل عليهم الأقار ب و خاصة الأطفال منهم متهيبين وجلين؛ فيسأل الملك الطفل الصغير عن بعض

ألعابه، أو يداعبه ببعض الألفاظ الطفولية اللطيفة، أو يشاغله بما يحبه، وكما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دخل عليه أعرابي ترتعد فرائصه خوفاً ظناً منه أن محمداً ملك تحيطه الأبهة والعظمة الد نيوية كحال الأكاسرة والقياصرة، فقال صلى الله عليه وسلم: (هون عليك يا أخا العرب إنما أنا ابن إمرأة من قريش، كانت تأكل القديد في مكة)، فسبحان اللطيف بعباده الرحيم الودود بخاصتهم.

١٨. (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآَرِبُ أُخْرَى):

وعندما سئل موسى عليه السلام (وما تلك بيمينك)؟ سمع كلاماً لا يشبه كلام الخلق، فهام فيه، فمرة يضيف العصا إلى نفسه، ومرة يتحدث عما لم يسأل.(وما تلك بيمينك)؟ كان هذا السؤال برهانا ومعجزة، فَيَدُهُ أصبحت آية، وعصاه الجامدة الميتة أصبحت آية فغدت حية، ثم ردت إلى ما كانت عليه. وقيل: لما هام موسى في الحضرة الربانية أراد الحق أن يُسَكِن مابه فسأله عن عصاه، فماذا أجاب؟ (قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى). وهكذا أمر موسى بخلع النعل من رجله وهي آلة الهرب وبإلقاء العصا من يده وهي آلة الطلب، ولم يتمكن موسى على جلال قدره من الوصول إلى جنابه جل وعلا إلا بخلع النعل وإلقاء العصا، فكيف يمكننا نحن وقد أثقلتنا المعاصي من الوصول إلى جنابه؟! ولكن

عفو الله ورحمته أوسع لنا (تفسير غرائب القرآن للقمي النيسابوري) وفي تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور قوله:

- أراد الله أن يُرِيَ موسى عليه السلام كيفية استخدام الدليل وكيفية التعامل مع المعجزة.
- وهكذا فأثناء الحوار تنقلب العصا حية وذلك لتثبيت موسى عليه السلام وأنه مصطفى من قبل الله، وحتى لا يفاجأ بها إذا ألقاها أمام فرعون.
- وقيل إن السؤال كان عن أمر غريب في شأن هذه العصا لأن السؤال عن الواضح إنما يراد به السؤال عن أمر غير واضح وخفي، لذا قال متعجباً (هي عصاي) وكان المطلوب منه أن يقول (عصا) فهنا (هي) ضمير يدل على التعجب من السؤال. مثلاً إذا سألت صاحبك عن مرافقه بقولك – من معك؟ فيقول فلان، ثم إذا سألته في لقاء آخر و معه صاحبه نفسه أيضاً بقولك من معك؟، فيقول متعجباً هو فلان!.

وأهش بها على غنمي: بعد أن قال موسى هي عصاي أجاب عن منافعها: فهو يتوكأ عليها في مشيه، ومن منافعها أنه يضرب بها ورق الشجر أو يهز بها أغصان الشجر فتتساقط أوراقه، فتأكله غنمه. فأجاب موسى عليه السلام عما سئل وعما لم يسأل، وهكذا حال الهَيمَانِ الوَالِهِ المُحب، يود إطالة الحديث، فذكر وجوها من الانتفاع

بها: منها أنها تؤنسه وتدفع عنه العدو وغير ذلك... ولكن موسى كان غافلا عن حقيقتها أنها ستنقلب حية، وستفلق البحر ولذا قيل (علامة التوحيد التجريد وسقوط الإضافات)، فكيف يسلم له أن يقول (عصاي) و (أتوكأ) و (ولي فيها مآرب)؟! وهو في حيز التكليم، لذا أمره الله بإلقائها فغدت حية، ففر موسى منها ولم يعقب. وهذه صفة العلاقة أي علاقة الإنسان بالأشياء، إذا كُوشِفَ صاحبها بِسِرّها هربَ منها، ولذا قيل كل ما تَسْكُن إليه غير الله فَسَتَفِرُ منه يوماً ما). من لطائف الإشارات للقشيري ص١١٩.

(وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى):

وهكذا بَيّن موسى عليه السلام الغرض من استخدامه للعصا، فأجمل بعد تفصيل، وأطنب في الجواب زيادة عن المطلوب من السؤال، لأن المقام مقام تشريف فينبغي فيه طول الحديث. ومن ذاق حلاوة الحديث والمؤانسة أحب أن يطول الحديث مع من يحب.

قال هي عصاي، (أتوكأ عليها) أي أعتمد عليها في قضاء حوائجي. فقال الله له (ألقها) أي ألق من قلبك الاعتماد على غيرنا .إذا جئتنا فألق ما تعتمد عليه من غيرنا وتوكل علينا، ثم قَلَبَهَا الله له حية حتى لا يستأنس بغيره وحتى تتضح حقيقة الحية. أما حقيقة الغرض من السؤال عنها فهو نزع ملكية الأشياء عن غير الله.، فكيف يليق أن تدعي ملكية شيء وأنت في حضرة مالك الملك؟ ولذا كره العلماء أن

يقول الإنسان هذه الكلمات مفتخراً (أنا – ولي – وعندي) وأحبوا أن يقول المرء (أَنْتَ أنت)! وهذا ما قاله موسى عليه السلام بعد أن سمع قوله تعالى (إني أنا ربك)، (إنني أنا الله) فقال موسى عليه السلام:(أنت أنت).

والذي كرهه العلماء للعبد من قول (أنا) وذلك لأن الشيطان قال متكبراً على رب العباد رافضاً السجود: (أنا خير منه) فكانت (أنا) سبب مهلكته، أما فرعون فقد افترى وادعى ملكية ما لا يملك في الحقيقة فقال: (أليس لي ملك مصر) فكيف يدعي إنسان أنه يملك أشياء وهو ذاته لا يملك نفسه؟ أما قارون فقد أهلكه الغرور وأودى به إلى أسفل سافلين حيث خسف الله به وبماله الأرض ؛ فلقد ادعى ما ليس له، قال تعالى: (**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ**)القصص الآية ٧٨.

وهكذا فقد أهلك الله جل وعلا المتكبرين والمعتزين بغيره، أهلكهم بما اعتزوا به، فأهلك فرعون بالماء والأنهار، وأهلك إبليس بالنار التي افتخر بها لأنها أصله، ولذا لم تكن كلمات (عصاي وأتوكأ) مناسبة لدرجات الكمال النبوي في مخاطبة حضرة الجلال الإلهي، ولكن الله جل وعلا يرتقي برسله في درجات الكمال كيفما شاء.

١٩.(قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى):

ألق كل ما سواي عنك، فإنك بحضرة الجلال الإلهي فلا عبرة بما يبدو لك من ظاهرها يا موسى، ألق العصا الآن؛ وسترى ما يحدث.

ولما قال موسى عليه السلام:(هي عصاي) في مقام الإنبساط فإنه ما عرف حقيقة هذه العصا، ولذا قال الله له (ألقها) حتى لا يسكن إليها فجعلها تخيفه لئلا ينظر إليها، فهي مجرد وسيلة، فكيف يستأنس بالوسيلة ويعتمد عليها ويترك من جعلها وسيلة؟

٢٠. (فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى):

(فألقاها) فانقلبت العصا حية عظيمة تلقف الحجارة والأشجار، وأقبلت على موسى فخاف منها،وهكذا كل ما تستأنس به غير الله سَتَفِرُ منه عما قريب، وقيل في عرائس البيان: أن خوف موسى ليس من العصا وإنما من عظمة الخالق وقدرته.

فأطاع موسى ربه،فألقاها فانقلبت فجأة حية متجهة نحو موسى، ففر هارباً منها،وكذلك دب في موسى الخوف من قدرة الله وسلطانه وسطوته والإجلال لعظمته جل وعلا، عندما قلب الله العصا التي كان يستأنس بها موسى وله فيها مآرب أخرى، قلبها الله إلى حية نَفَر منها.

يقول صاحب الظلالفي تفسير الآية: (هذه الظاهرة تتكرر ملايين المرات ففي كل لحظة تبعث الحياة في الميت فمعجزة الحياة بعد الموت أو الموت بعد الحياة ظاهرة متكررة نراها كل يوم في الأرض

الميتة، في البذور الخاملة، في الدجاجة والبيضة ثم تتحول البيضة إلى دجاجة وهكذا لا تكاد تغيب عنا هذه الظاهرة ولكن الذي يغيب عنا هو التأمل والتفكر بها وأخذ العظة والعبرة منها وقلّ ما يلتفت إليها الإنسان لشدة ألفه لها) وهكذا بدت المعجزة أمام موسى مرتين:

١. كانت عصا ميتة فأحياها الله.

٢. ثم لما كانت حية تسعى كأنها جان قلبها الله إلى عصا وأعادها إلى سيرتها الأولى، فسبحان من لا يتحول.

٢١. (قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأولَى):

فلما علم الله أن موسى تبرأ من غيره قال له: (خذها)، فلما هرب موسى من العصا، رحمه الله فقال له (ولا تخف) سنعيدها سيرتها الأولى، فأراه الله المنافع التي كانت غائبة عن موسى مثل إنقلاب العصا حية، وأراه فيما بعد حقيقة المآرب الأخرى وليس ما ظهر لموسى من مآرب فقط فهذه العصا يا موسى ستفلق البحر (قلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كالطود العظيم)، وستفجر الينابيع من الحجر، قال تعالى **(وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ)** البقرة الآية ٦٠.

لقد كانت الحية معجزة وآية لموسى أمام فرعون، ولم تكن بلاء لموسى؛ لذا أشهده الله انقلاب العصا حية، ثم أشهده عودتها إلى حالتها الأولى، ذلك أن الله يثبت عباده في طريقهم إليه بالأدلة والبراهين والمعجزات، فلقد أراه آية من خارج نفسه مما يلازمه غالباً، ثم آراه آية من داخل نفسه لا تفارقه ألا وهي يده، قال تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فصلت آية ٥٣.

أما الآية التي من خارج نفسه فهي العصا، والآية التي كانت من داخل نفس موسى فهي يده التي أمره الله أن يضعها تحت عضده ثم يخرجها بيضاء من غير مرض ولا برص،

قال تعالى: (واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) آية ٢٢.

وهكذا يثبت الله رسله وعباده المؤمنين بالأدلة والآيات،كما ثبت مريم بنت عمران في طريقها إلى الله بالطعام الذي كان يأتيها من السماء (...قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) سورة آل عمران، آية ٣٧.

من هنا نلحظ أن علم الأنبياء قاصر عن علم الله، قال تعالى: (**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء**) البقرة آية ٢٥٥. وهكذا أراد الله أن يُرِي موسى حقيقة العصا، وأنه جل وعَلا هو النافع وهو

الضار، وقيل:إن موسى رأى في العصا سطوة الله وبأسه؛ فخاف من مكره جل وعلا، ولما تبرأ موسى عليه السلام من الأسباب وتخلى عن مظاهر العصا ومنافعها أراه الله نور ملكوته في يده وسلطانه وقوته في عصاه وفي نفسِهِ؛ فانتقل بموسى من رؤية الأشياء إلى رؤية نفسه، فأراه يده بيضاء بما فيها من نُورِ نَظَرِ الله إلى موسى، قال تعالى:

٢٢. (**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى**):

أي اضمم يدك إلى جناحك فوق قلبك، فستأخذ من نور قلبك أي من نور نَظَرِ الله إلى قلبك، واضمم يدك عن تلك الحركات التي وكزت بها القبطي فقضيت عليه، قال تعالى: (**فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**) سورة القصص، آية ١٥.

واضمم في المستقبل يدك يوم ستأخذ برأس أخيك ولحيته، قال تعالى: (**قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**) طه الآية **٩٤.** واضمم يدك يوم تلقي الألواح، اضممها إلى جناحك حتى تبقى ملتصقاً بنورنا متصرفاً حسب ذاك النور، وهكذا بين الله له عظمة الآية في يده، فقال تعالى: (لنريك من آياتنا الكبرى).

٢٣. (لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى):

أراه الله آية في يده وهو تغير لونها وآية مما في يده وهي العصا، حيث كان تغيرها شاملاً لتغير اللون والحجم، وخلق الحياة فيها ثم القدرة على فعل الخوارق، واختلف في أيهما الكبرى، فقال الحسن: اليد وغيره قال العصا، وبعضهم قال: لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى والله أعلم بمراده.

٢٤.(اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى):

وهكذا زَوّدَ الله موسى عليه السلام بمعجزات التأييد؛ ليصدقه الناس ،ودَرّبَه على استخدام هذه المعجزات وإظهارها حتى لا يخاف عندما تظهر له الحية مرة ثانية بشكلها الجديد، ولذا أيده الله بآياتٍ من خارج نفسه كالعصا، ومن داخلها كاليد ودربه على ذلك، ومن هنا نجد أهمية التدريب على الأعمال، قبل التكليف بالقيام بها، وهذه نقطة تربوية وتنموية هامة، تزرع في النفس الثقة وتحفزها للإستمرارية وتقيها القلق والإضطراب في الساعات الحرجة، وهذه نقطة هامة يجب أن يفطن إليها التربويون والإداريون والمصلحون، فلا يجوز أن نلقي في غمار الحياة والقيادة من ليس له دُربة على ذلك، ولا خبرة فنكون كمن قال الشاعر فيه:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

ومن أسباب تخلف المسلمين في هذا العصر عدم اعتمادهم على التدريب واكتساب الخبرة والإعداد الجيد والتخطيط، فكم ساد القوم أغرارلايعرفون كوعهم من بوعهم،ولا يرقبون في الأمة إلّاً ولاذمة ؛فالتعليم في غالب البلاد الإسلامية ينحصر في نطاق نقل المعارف والمفاهيم وإعداد كّمٍ هائلٍ من الموظفين ليطبلوا ويزمروا للحاكم، دون معالجة الواقع ودون تزويد المعلمين أو المهندسين أو الأطباء أو المصلحين أو المربين بخبرات واقعية وبوسائل التأييد وصولاً إلى الأهداف المنشودة،لذاتجدنا نهيم في عالم النظريات بعيدين عن الواقع وعن التسلح بالخبرة والتدريب مما ينجم عنه الإحساس بالفشل لدى غالب العاملين في مؤسسات الدولة، وهذا يسبب احباطاً وسوء إنتاج وإعاقة لعجلة التقدم، وإذا نظرنا إلى الساسة والسياسة نجد انعدام الخبرات والكفاءات لدى أغلب السياسين والقيادين، مما يجعلهم يخبطون بشعوبهم خبط عشواء، ويوردونهم موارد الهلاك والتخلف،و سواء منهم من جاء على ظهر دبابة أ وتحت راية عمية، فالأمة أمام هؤلاء تباع و تشترى، وبأبخس الأثمان مقابل البقاء على كرسي الحكم والاستبداد بالشعوب. وإذا ما قارنا ساسة العالم الثالث مع ساسة العالم المتحضر دنيويا أدركنا لماذا ينتصرون ولماذا ننهزم؟ ولماذا يتقدمون ولماذا نتأخر ونتخلف؟ فساسة العالم المتحضر دنيوياً

يمثلون النخبة من شعوبهم، ويختارون اختياراً ديمقراطياً عبر صناديق الإقتراع الحر النزيه، أما ساسة العالم العربي- إلا من رحم ربي وقليل ما هم- فهم يمثلون أنفسهم واهواءهم لا شعوبهم، ويختارون عبر صناديق الخيانة والتزويروالعمالة، و يحكموننا رغم أنوفنا، وعبر مقامع من حديد يقمعون بها شعوبهم و يذيقونهم الذل و المهانة، و يلبسونهم العار، حتى غدت شعوبنا رغم كثرة الخيرات وعظمة التراث تسير في ذيل القافلة،بل تتراجع إلى الوراءقروناً طويلة،بينما العالم المتحضر يتجه نحو الإتحاد والتعاون وحساب المصالح المشتركة كالإتحاد الأوربي مثلا.لابل حتى بعض دول العالم الثالث بدت تدرك أهميةالتعاون فيما بينها على أساس المصالح المشتركة. اما

نحن

سواء كنا عربا أم مسلمين فلا نزدادإلا تشرزماً وتفككاً وتخلفاوانقساما، حتى على نطاق البيت الواحد، و حتى غدت اجتماعات القمم العر بية تنعقد وتنفض بشعار(اتفقوا على أن لايتفقوا).فمتى تصحوالرعية ؟ ومتى يصحو الراشدون والراشدات؟ ولله الأمر من قبل ومن بعد.

(اذهب إلى فرعون): بعد أن سمع كلام الله وعاش معاني تجلي الربوبية وواجبات العبودية لله، شغله الحق بالشريعة عن الفناء في

الحقيقة، وبمكابدة الأعداء والعودة من المشاهدة إلى المجاهدة، لذا سأل موسى ربه جل وعلا أشياء كثيرة، حتى يطيق صحبة الأضداد ومكابدتهم. فكيف يطيق من انشرح صدره لكلام الله أن يكلم بعدها أعدا أعداء الله.

لقد كان التكليف شاقا، فلقد خاطبه الله أولا: بالتوحيد (إنني أنا الله لا إله إلا أنا)، وثانيا: بالعبادة (فاعبدني)، وثالثاً: عرفه بوجوب المعاد إليه لقوله تعالى: (إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى...)، ورابعاً: نبهه إلى معرفة الحكمة من أفعاله (وما تلك بيمينك)، وخامساً: عرض عليه المعجزات الباهرات ودربه عليها مثل: معجزة العصا واليد، وسادساً: أرسله إلى أشد الناس كفراً بقوله: (اذهب إلى فرعون).

<u>الآيات من (٢٤ – ٣٥) من تفسير ابن كثير:</u>

مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن
لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ
أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ

وقوله: { ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ } أي: اذهب إلى فرعون ملك مصر الذي خرجت فاراً منه وهارباً، فادعه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومره فليحسن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم، فإنه قد طغى وبغى، وآثر الحياة الدنيا، ونسي الرب الأعلى. قال وهب بن منبه: قال الله لموسى: انطلق برسالتي، فإنك بسمعي وعيني، وإن معك تأييدي ونصري، وإني قد ألبستك جنة من سلطاني، لتستكمل بها القوة في أمري، فأنت جند عظيم من جندي، بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقي، بطر نعمتي، وأمن مكري، وغرته الدنيا عني حتى جحد حقي، وأنكر ربوبيتي، وزعم أنه لا يعرفني، فإني أقسم بعزتي لولا القدر الذي وضعت بيني وبين خلقي، لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار، فإن أمرت السماء حصبته، وإن أمرت الأرض ابتلعته، وإن أمرت الجبال دمرته، وإن أمرت البحار غرقته، ولكنه هان علي، وسقط من عيني، ووسعه حلمي، واستغنيت بما عندي وحقي، إني أنا الغني لاغني غيري، فبلغه رسالتي، وادعه إلى عبادتي، وتوحيدي وإخلاصي، وذكره أيامي، وحذره نقمتي وبأسي، وأخبره أنه لا يقوم شيء لغضبي، وقل له فيما بين ذلك قولاً ليناً؛ لعله يتذكر أو يخشى، وأخبره أني إلى العفو والمغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة، ولا يروعنك ما ألبسته من لباس الدنيا، فإن ناصيته بيدي، ليس

ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني، وقل له: أجب ربك؛ فإنه واسع المغفرة، وقد أمهلك أربعمائة سنة، في كلها أنت مبارزه بالمحاربة، تسبه وتتمثل به، وتصد عباده عن سبيله، وهو يمطر عليك السماء، وينبت لك الأرض، لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب، ولو شاء الله أن يعجل لك العقوبة لفعل، ولكنه ذو أناة وحلم عظيم، وجاهده بنفسك وأخيك، وأنتما تحتسبان بجهاده، فإني لو شئت أن آتيه بجنود لا قبل له بها لفعلت، ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجموعه أن الفئة القليلة، ولا قليل مني، تغلب الفئة الكثيرة بإذني، ولا تعجبنكما زينته، ولا ما متع به، ولا تمدا إلى ذلك أعينكما؛ فإنها زهرة الحياة الدنيا، وزينة المترفين، ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما، فعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك، وأزويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي، وقديماً ما جرت عادتي في ذلك، فإني لأذودهم عن نعيمها وزخارفها؛ كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مبارك الغرة، وما ذاك لهوانهم علي، ولكن لسيتكملوا نصيبهم في دار كرامتي سالماً موفراً لم تكلمه الدنيا، واعلم أنه لا يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا، فإنها زينة المتقين، عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع، وسيماهم في وجوههم من أثر السجود، أولئك أوليائي حقاً حقاً، فإذا لقيتهم، فاخفض لهم جناحك، وذلل قلبك ولسانك،

وأعلم أنه من أهان لي ولياً، أو أخافه، فقد بارزني بالمحاربة، وبادأني، وعرض لي نفسه، ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي؟ أم يظن الذي يعاديني أن يعجزني؟ أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني؟ وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا أكل نصرتهم إلى غيري؟ رواه ابن أبي حاتم: { قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِىۤ أَمْرِى } هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم، وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وأجبرهم وأشدهم كفراً، وأكثرهم جنوداً، وأعمرهم ملكاً، وأطغاهم وأبلغهم تمرداً، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله، ولا يعلم لرعاياه إلهاً غيره، هذا وقد مكث موسى عليه السلام في داره مدة وليداً عندهم في حجر فرعون على فراشه، ثم قتل منهم نفساً، فخافهم أن يقتلوه، فهرب منهم هذه المدة بكمالها، ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل إليهم نذيراً يدعوهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له، ولهذا قال: { رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِىۤ أَمْرِى } أي: إن لم تكن أنت عوني ونصيري وعضدي وظهيري، وإلا فلا طاقة لي بذلك { وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى يَفْقَهُواْ قَوْلِي } وذلك لما كان أصابه من اللثغ حين عرض عليه التمرة والجمرة، فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه، كما سيأتي بيانه، وما سأل أن يزول ذلك بالكلية، بل بحيث يزول العيُّ،

ويحصل لهم فَهْمُ ما يريد منه وهو قدر الحاجة، ولو سأل الجميع لزال، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة، ولهذا بقيت بقية، قال الله تعالى إخباراً عن فرعون أنه قال: { أَمْ أَنَآ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ } [الزخرف: ٥٢] أي: يفصح بالكلام. وقال الحسن البصري: { وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى } قال: حل عقدة واحدة. ولو سأل أكثر من ذلك أُعْطي. وقال ابن عباس: شَكَا موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتيل، وعقدة لسانه، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءاً، ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه، فآتاه سؤله، فحل عقدة من لسانه. وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن عمرو بن عثمان، حدثنا بقية عن أرطاة بن المنذر، حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب عنه قال: أتاه ذو قرابة له، فقال له: ما بك بأس، لولا أنك تلحن في كلامك، ولست تعرب في قراءتك، فقال القرظي: يابن أخي ألست أفهمك إذا حدثتك؟ قال: نعم. قال: فإن موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يحلَّ عقدة من لسانه كي يفقه بنو إسرائيل كلامه، ولم يزد عليها،

وقوله: { وَٱجْعَل لِّى وَزِيراً مِّنْ أَهْلِى هَـٰرُونَ أَخِى } وهذا أيضاً سؤال من موسى عليه السلام في أمر خارجي عنه، وهو مساعدة أخيه هارون له. قال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس: أنه قال: فنبىء هارون ساعتئذ حين نبىء موسى عليهما

السلام. وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن ابن نمير: حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة: أنها خرجت فيما كانت تعتمر، فنزلت ببعض الأعراب، فسمعت رجلاً يقول: أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه؟ قالوا: لا ندري. قال: أنا والله أدري. قالت: فقلت في نفسي: في حلفه لا يستثني، إنه ليعلم أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه، قال: موسى حين سأل لأخيه النبوة، فقلت: صدق والله. قلت: وفي هذا قال الله تعالى في الثناء على موسى عليه السلام:

{ وَكَانَ عِندَ اللهِ وَجِيهًا }الأحزاب: ٦٩.

وقوله: { ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِى } قال مجاهد: ظهري، { وَأَشْرِكْهُ فِىَ أَمْرِى } أي: في مشاورتي. { كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً } قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً. وقوله: { إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً } أي: في اصطفائك لنا، وإعطائك إيانا النبوة، وبعثتك لنا إلى عدوك فرعون، فلك الحمد على ذلك.

وجاء في تفسير لطائف الإشارات للقشيري قوله في شرح الصدر الوارد في الآية الكريمة: **(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي):**

لذا طلب موسى عليه السلام العون من الله وأفاض في السؤال وكان أول ما طلب: (قال رب اشرح لي صدري).

لأن انشراح الصدر أي تنويره بالمعرفةأساسي ليقوم الإنسان بالمهمةالتي وُكّلَ بها،وشرح الصدر هو أول مراتب الروحانيات،

وأول مراتب النجاح وأول خطوة في طريق تحقيق الهدف، وهودافع كبير لضمان استمرارية العمل الدؤوب.

٢٨. (واحلل عقدة من لساني يَفْقَهُوا قَوْلِي):

(واحلل) عقدة العجمة الإنسانية؛ حتى أستطيع شرح ما خاطبتني به وهكذا فقد طلب موسى الحضور القلبي في كل ما سأل، وطلب وضوح البيان؛ حتى يحقق المراد منه،وهذا يدل على أهمية البيان الواضح في توصيل ما نريد والوصول إلى الأهداف التي نريد، وهذه سمة أساسية يجب توفرها في الداعي إلى الله.

علم موسى بفنائه بأول بارقة من أنوار الجلال، فسأل شرح الصدر وإطلاق اللسان ليتحمل أعباء الدعوة (واحلل عقدة من لساني) حتى أستطيع أن أكلمك فأكون مالكاً لنطقي وبياني وقيل:سأل حل عقدة الحياء؛ فإنه إستحيا أن يكلم عدو الله بلسان خاطب به الحق، وقيل ما سأل موسى عليه السلام ربه إلا الأخلاق مثل (اشرح لي صدري..إلى آخر الآيات) حتى لا أشاهد غيرك وحتى لا يضيق صدري من رؤية عدوك ومخاطبته. وقيل: لما كلم الله موسى عُقِدَ لسان موسى عن مكالمة غيره. ومن ذاق حلاوة الكلام مع الله لا يطيق التكلم مع غيره جل وعلا.

٣٣. (كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا):

قيل لموسى عليه السلام أستكثرت التسبيح ونسيت الأفضال؟ ألم ننجك في اليم؟ ألم نُعِدْك إلى أمك؟ ألم ننجك من فرعون وأنت في حضنه حتى رباك ثم خرجت عليه؟ ألم ننجك من الغم بعد أن وكزت رجلاً فقتلته؟ ألم نكرمك بخطابنا لك؟ والحمد والشكر يكون قليلاً من فعل العبد وإنما يكثر بمساعدة الحق له فلا أحد يقدر على الثناء على الله حق الثناء، كما قال صلى الله عليه وسلم: (لا أحصي ثناءٍ عليك أنت كما أثنيت على نفسك).

ومما سبق ندرك أن كل طلبات موسى عليه السلام كانت أخلاقية وفي خدمة الدعوة ولتحقيق مراد الله لا مراد نفسه، لذا وقعت الإجابة وتحقق الأمر. انتهى الإقتباس من تفسير لطائف الإشارات للقشيري.

٣٦. (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى):

قال قد أوتيت سؤلك أي أعطيناك سؤلك، فما إن أتيحت الفرصة لموسى عليه السلام أن يتحدث حتى أفاض في الطلب والدعاء، حال المحب الذي تتاح له فرصة الحديث مع المحبوب فلا يسكت عن الكلام ولله المثل الأعلى، فقد أطال موسى الحديث، وزاد في الأسئلة ويكاد ما يتوقف في طلباته خدمة للدعوة الإسلامية علماً بأنه لم يطلب شيئاً لحظ نفسه، ولذا كانت الإجابة سريعة بقوله

تعالى: (قد أوتيت سؤلك) أي تحققت طلباتك يا موسى ويتكرر النداء الرباني (ياموسى) ليعطي موسى عليه السلام مزيداً من الحنان والود والمحبة، فجميل جداً أن تُكَرر اسم من تتعامل معه؛ لما يزرع ذلك في قلب المنادى من محبة ومودة ونشاط وتحفز لأداء ما كلف به.

وبني الفعل للمجهول في قوله: (أوتيت) ليدل على أنه تم إنجاز ما سأل؛ فكل ما سألته يا موسى أُعطيته فعلاً.

فلم يسأل موسى ربه شيئاً من متاع الدنيا فقد كان همه إرضاء ربه وتبليغ أوامره، فقد سأل الله شرح الصدر وإطلاق اللسان وتيسير الأمر... الخ خدمة للدعوة؛ فأجاب الله سؤله ورعاه صغيراً وكبيراً حتى يبلغ رسالة ربه.

علينا أن نجعل جل همنا الإصلاح لقوله تعالى: (فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)،الأنفال:١. وأهمه تعريف الناس بخالقهم بل تعريف أنفسنا بذلك قولاً وعملاً وأن نسأل الله في ساعات الوصال والصلة والصلاة ما يصلح به ديننا وأُخرانا، وأن نثق بوعد الله لقوله تعالى: (وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) الأنفال ٤٠، فقد وعدنا بالإستجابة ولكن لم يحدد الوقت ولا الكيفية وهو أعلم بما يصلحنا.

- وعلينا أن نسأل الله أن يجعلنا هادين مهديين، ولما سألت السيدة عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الأعظم أعرض مراراً فلما ألحت قال: يا عائشة إن اسم الله الأعظم لا يسأل به شيء من متاع الدنيا. ولنسأل الله الفردوس الأعلى وما يقربنا إلى ذلك من قول أو عمل. ومن سأل الله الآخرة كفاه الله الدنيا والآخرة، ومن جعل الدنيا مبلغ همه ومنتهى علمه جعل الله فقره بين عينيه، وفي الحديث القدسي يقول الرب سبحانه: (يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه).

الترجمة إلى الواقع للآيات من ١٧ ـ ٣٦

١. جرت العادة – غفر الله لنا جميعاً – أن ننشغل بالأسباب عن مسببها، وبالنعم عن المنعم تاركين التوكل على الله. معتمدين كلياً على وسائل دنيوية، ومتوكلين على قوى أجنبية. ويوم توكل المسلمون على الشرق أو الغرب، وتواكلوا ولم يأخذوا بأسباب التقدم والنجاح والفوز ضاعت عندها أمتنا، بل أُكِلَت كما أُكِلَ الثور الأبيض، وتتداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، وما زالت الأمة تولي ظهرها عن كتاب الله وتتوجه مشرقة ومغربة فلا تلقى إلا الذل والضياع والتخلف وواقع الأمة أكبر دليل على ذلك. فمن توكل على الله كفاه،

ومن توكل على غيره لم يجد مُناه وتخلى الله عنه فذاق مرارة الفشل والإنهزام، ولذا كره العلماء أن يقول المرء معتمداً على ذاته (أنا – وعندي – ولي)، كما قالها فرعون وقارون وغيرهم. هذا إذا كان معتمداً على نفسه ناسياً ربه إلا أن البلاءالأعظم عندما تتكل الأمة على الشرق والغرب متوكلة عليهم في حمايتها من الشرور ناسية ربها، فالداهية تكون هنا أدهى وأمر. فإذا أحسنت التوكل على الله جاءك المدد من حيث تدري ولا تدري. لذا قال الله لنبيه موسى عليه السلام وهو يرقيه في مدارج الكمال ما مضمونه الق كل مافي يمينك إذا كنت بحضرتنا وتوكل علينا، والذين أحسنوا التوكل على الله فازوا في الدنيا والآخرة قال تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ).

٢. وهكذا رجع المسلمون المتوكلون على الله غانمين منتصرين،أما اليوم فقد بلغ التواكل بالأمة مبلغاً لم تشهده من قبل، ولذا فإن أمتنا في تأخر مستمر رغم تقدم الأمم ونهضتها، لقد كنا نلقي باللائمة كلياً على الإستعمار،ونهرب من تحمل مسؤولياتنا،بل نستسلم لهذه الفكرة المخدرة،ونعلل فشلنا وتخلفنا لوجودالإستعمارواعوانه بيننا،وكاننا كنا نتوقع من الإستعمارو الإستبداد كلّ خير!أين قوانا الذاتية ؟ أين إرادتنا؟ وإن أمماً استعمرت مثلنا كالصين والهند واليابان وربما تحررنا قبلها ولكنها الآن هي في مصاف الدول ذات الهيبة والمكانة، ونحن في

مصاف الدولة المتخلفة النائمة المنهزمة. لا بد أن نمتلك قوانا الذاتية ونشعر بقدراتنا ونحرر نفسيتنا من الإنهزام مهما كان الظلم ومهما كان الطغيان، وهكذايجب على القادة والمصلحين أن يرفعوا عن الأمة أثقال الذل والاستبداد، وأن يعطوا لشعوبهم حريتهم، وأن يسهموا في إحقاق مبادئ العدل فذلك خير لهم ولشعوبهم لو كانوا يفقهون.

٣. قبل التكليف لابد من التشريف والتدريب والوضوح في الهدف، وهذا تماماً ما وجدناه واضحاً في الآيات الكريمة، حيث شرف الله موسى عليه السلام بالرسالة ثم كلفه بالمهمة بشكل واضح وجلي (اذهب إلى فرعون)، وبين له سبب التحرك (إنه طغى)، ودربه على الأدلة (ألق مافي يمينك) – (واضمم يدك إلى جناحك)، كما لقنه حجته وماذا سيقول. لقد كان كل شيء واضحاً أمام سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

٤. إن عدم الأخذ بهذه المنهجية السامية في حياتنا وأعني بها (منهجيةالتشريف قبل التكليف والتدريب قبل التنفيذ والوضوح في الهدف)لهو سبب الضياع، إن هذه المنهجية يجب أن تكون شاملة لكل جوانب حياتنا، في تعاملاتنا مع أطفالنا، وفي أسرنا ومع من نعول ومن نقود،و سواء في مؤسساتنا الخاصة أو العامة أو في شؤون الإدارة والسياسة.....، وإني لأجد في مجتمعاتنا الإسلامية خللاً

واضحاً، وبناء متصدعاً لا يكاد يقوى على هبة ريح، فالتشريف يكاد يكون منعدماً في حياتنا، إذ أننا نجد التسلط والقهر والاجبار بدءاً من رئاسة الدولة إلى رئاسة الأسرة- إلا من رحم ربي. وَحَدّثِ الكثير عن ظاهرة المحسوبية والرشوة والطبقية والعنصرية والطائفية، وانعدام وجود الرجل المناسب في المكان المناسب؛ لذا تختل الأعمال وتنتكس المجتمعات وخاصة إذا سُوِّدَ الخائن وخون الأمين وصار سفلة القوم سادتهم فانتظروا الساعة، وهذا لا يعني الإستسلام انتظاراً للساعة، فهذا مما لا يجوز ومما يستنكر، فالمؤمن ليس لعاناً ولا بذيئاً ولا قنوطاً ولا يائساً، المؤمن دائماً يبني ويعمر حتى في أحلك الظروف وحتى والساعة قائمة، قال صلى الله عليه وسلم: (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع أن يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر)، هكذا والساعة قائمة والفسيلة في اليد فليغرسها، إنه الأمل إنه العطاء إنه بناء الإزدهار وبناء الجمال، فالأمل شعاع مؤنس إن يوصلك فقد أسلاك.

٥. كثيرون أولئك الذين يستسلمون للواقع المُرّ ويضنون بشمعة يشعلونها في الظلام ويستسلمون للظلمة الداجية، وما هذا بخلق المسلم وما بدوره.

(أ) إن واجب الدعاة ألا يلعنوا الظلام، بل أن يواجهوه بمصابيح هدايتهم وبشمس إيمانهم وبيقينهم وصدق رسالتهم، فلا يجوز لهم أن

ينتظرون سدف الظلام حتى تلفهم. عليهم أن يذهبوا إليها ويبددوها وينيروا للبشرية سبل السلام والسعادة والهناء. وهكذا نجدالأمر الرباني لموسى عليه السلام بل ولكل مسلم أن يذهب في أمر الدعوة، أن يذهب للطغاة داعياً ولكن بالحلم والأناة والصبر والتعقل متسلحاً بالآيات البينات وبالدلائل والبراهين الناصعة مجيداً أسلوب الحوار والاقناع صابراً على جهل الخصم وتعنته. وفي عصرنا ومجتمعاتنا الإسلامية لا ينحصر الطغيان في الحاكم أو حاشيته، بل ساد الطغيان نظام حياتنا الأسرية والمدرسية وفي تعاملاتنا التجارية وعلاقاتنا الإجماعية، وبلغ الطغيان عموم الأمة حتى أن القائل يقول: (متى نصر الله)؟! ألا إن نصر الله قريب، ولكن لابد من التبديل والتغير والاتجاه نحو الأفضل وبالوسائل التي شرعها الله، وحسب خطة منهجية مرحلية يضعها العقلاء والمصلحون، ويسيرون على نهجها ويقومون اعوجاجها إن بدا أنها انحرفت عن الطريق، ويضعون لها الوسائل والأهداف ويقيمونها خطوة بخطوة معتمدين على الله صابرين متلطفين (فقولا له قولاً ليناً)، إن فعلوا ذلك جاءهم النصر المبين (إنك أنت الأعلى).

(ب) على القادة والمصلحين والدعاة أن يصغوا إلى أفراد الأمة وإلى من يعولون ويقودون، عليهم أن يتسع صدرهم لحوار الأفراد وللإصغاء إليهم واحترامهم وتقدير أفراد الأمة مهما أفاضت في طلبات الخير ومهما طلبت من وسائل معينة، عليهم أن يزودوهم بها،

ألا ترى كيف أفاض موسى عليه الصلاة والسلام في الطلبات من الله، وكيف أطال وأطال، ولكنه ما طلب شيئاً لنفسه وإنما طلب ما يساعده في القيام بمهمته.

(ت) وهكذا على المصلحين والدعاة أن يفقهوا وبدقة سمات كل فرد من أفرادهم وطاقاته المادية والمعنوية واحتياجاته الدعوية، ثم أن ينشطوا لتلبية ذلك نشاطاً مشفوعاً بالمودة والمحبة (قال قد أوتيت سؤلك يا موسى)، وهذا ما نجده في ظلال كلمة (يا موسى)، أما تقطيب الجبين والعبوس والتبرم والتضجر وإشاحة الوجه فهذه ليست من سمات الداعي والمصلح.

(ث) لا بد أن يتمتع الدعاة والمصلحون:

- بانشراح الصدر للقيام بالمهمة (اشرح لي صدري).
- بالتيسير على العباد والأمة والأخذ باليسر في المهمة ودوام الصلة بالله (ويسر لي أمري).
- بالقدرة على البيان والتوضيح وإيصال الفكرة بأسهل السبل مدعمة بالأدلة والبراهين (واحلل عقدة من لساني...) والمهم أن يفقهوا قولي وفقه القول لا يتم إلا بفقه الداعي لمن يخاطبه. فلكل مقام مقال وأُمِرْنَا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم، وعلى الداعي أن يلم بأوضح الأساليب والوسائل وأنجعها في خطاب

من يدعوه، فلكل من (العالم والتاجر والتلميذ والرجل والمرأة والطفل) خطاب خاص به.

- وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فلقد كان صلى الله عليه وسلم يختار رسوله المناسب لكل قبيلة أولكل مهمة أو وفد، فاختيار مصعب بن عميروابن أم مكتوم رضي الله عنهما للدعوة في المدينة، واختيار دحية الكلبي في مراسلاته أو زيد في قيادته... ولما لم ينشط عدي بن حاتم الطائي لحرب قومه وقد كلفه بذلك خالد بن الوليد قال له أبوبكر الصديق رضي الله عن صحابة رسول الله: (دعه يا خالد ينشط للقاء من ينشط للقائهم، ولا تكرهه على لقاء ومحاربة قومه)؛ فانصاع خالد بن الوليد لأمر الخليفة.

وفي سورة طه نجد أن موسى عليه السلام طلب من يعينه في أمر الدعوة أخاه هارون، وبين أسباب ذلك ومناسبته للمؤازرة بقوله (هو أفصح مني لساناً)، وهو رِدْءٌ لي، ومما أشد به أزري.

وهكذا لابد من وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ولذا قال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر يوم طلب الإمارة (إنك رجل ضعيف...)، كما عزل الرسول صلى الله عليه وسلم سيدنا سعد بن عبادة عن قيادة لواء الأنصار وسلَّم الراية لابنه في فتح مكة، اختياراً لما يناسب الظرف والخطة بعد أن قال سعد (اليوم يوم الملحمة...)، كما عزل عمر بن الخطاب خالداً رضي الله عنهما

عن القيادة، لا لمنقصة فيه وحاشاه، وإنما تقديراً لظروف المرحلة الدعوية ولمن يناسبها، فأبو عبيدة رضي الله عنه قائد بطل ولكنه ينشط إلى السلم إذا دعي له والمرحلة هذه تتطلب مثل هذا القائد. والأمثلة كثيرة في تاريخنا، وما اضطراب الأمةالمعاصر وما تخلفها- إضافة إلى عوامل أخرى- إلا لأنها هدمت هذا المبدأ.

المقطع الرابع: تفسير الآيات من (٣٧- ٤١):

الموضوع: أفضال الله على موسى سابقة ولاحقة.

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾
إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ
فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ
فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا
فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا

شرح المفردات:

- **أوحينا:** ألهمنا، أي ألقى الله في قلبها أن تجعله في التابوت، وقيل أوحى الله إليها في النوم.
- **ما يوحى:** أي الذي يوحى في مثل هذه الحالة.
- **التابوت:** صندوق صنعه حزقيل مؤمن آل فرعون ووضعت أم موسى فيه نطعاً ودهنت شقوقه.

- **اليم:** النهر الكبير.
- **ألقيت عليك محبة مني:** جعلت فيك جمالاً لا يكاد يصبر عنه من رآك، وأيضاً ليرفق بك من يجدك في اليم فيحرص عليك ويتخذ ك ولداً، وهذا ما قام به فرعون. وكانت في عيون موسى ملاحة لا يصبر عنها من رآه فعلى جلال موسى فقد كان محبوباً ولذا الملاحة توجب المحبة، والرسول صلى الله عليه وسلم كانت عنده ملاحة مع هيبة وقيل: (غنج بعينيك لا يراك أحد إلا رق إليك ومال إليك)، فلقد كان الله يربيه بيد أعدائه ويصنعه على عيني جلاله ولطفه، فتربى في مقام القهر بعين اللطف، وألقاه الله في أعظم كبيرة وهي قتل النفس ؛حتى يذيقه طعم الإصطفاء والمغفرة.
- **مننا:** تفضلنا وأحسنا.
- **قرة عين:** كان قرة عين لإمرأة فرعون قبل أن ينفعها وقبل أن تتخذه ولداً.
- **ولتصنع على عيني:** تربى وتغذى على مرآى مني ورعاية.
- **الساحل:** الشاطئ.
- **اقذفيه:** إرميه بسرعة كأنها تخفي عملها.
- **تقر عينها:** تستريح وتسعد وتطمأن.
- **الغم:** الحزن الشديد.
- **وفتناك فتونا:** اختبرناك حتى صلحت للرسالة، أي بلوناك بلاءً.

- **مدين:** مدينة في فلسطين.
- **لبثت:** مكثت، وأقمت عشر سنوات أجيراً لشعيب عليه السلام وصهراً له، ولم يظهر لأحد في مدين ما أودعه الله فيك من نبوة.
- **على قدر:** جئت على القدر الذي قدر الله لك أن تجيء فيه وقد سمعت خطابنا.
- **اصطنعتك لنفسي:** استخلصتك لي لتبلغ رسالتي، وهكذا قطعه الله عن كل أحد، ثم قال له إذهب إلى فرعون بعد التجرد إلى الله و التسلح بالأدلة والمعجزات.

الأسئلة

١. أفضال سابقة لله على موسى وأخرى لاحقة. أوضح ذلك؟
٢. العناية كانت من البداية اذكر الآية التي توضح ذلك؟
٣. أوصل الله حبيبه إلى عدوه ورباه في حضنه علام يدل ذلك؟
٤. أوضح من الآيات ومن قصة موسى قوله:(ولتصنع على عيني) ؟
٥. امتلكت أخت موسى حساً أمنياً رائعاً فأين بدا ذلك؟
٦. من المنّ أن الله ردّه إلى أمه بعد أيام وقيل بعد ساعات قلائل. فعلام يدل ذلك ولم؟
٧. إمرأة ترضع ولدها وتأخذ إجرة على ذلك. فمن هي؟

٨. ما من مرة تذكر قصة موسى إلا ويذكره الله بفعلته قائلاً (وقتلت نفساً) كما يذكره بنعمته فنجيناك. فلم؟

٩. أين تقع مدين؟

١٠. ما الحالة النفسية التي حلت بموسى بعد قتله للمصري؟

١١. من أخبره أن القوم يريدون قتله؟

١٢. ماذا عمل موسى عليه السلام في مدين؟ وماذا تلقى على يد شعيب عليه السلام؟

١٣. جاء وحيداً إلى مدين وعاد مع أهله لأهله. أوضح ذلك؟

١٤. كم سنة لبث موسى في مدين؟

١٥. أراد موسى شعلة من نار ليستدفئ بها فذهب باحثاً عنها و لكن الله أراد أن يعطيه نور النبوة. أوضح ذلك؟

١٦. كان فرعون قد قتل آلاف الأطفال من أجله فلما وجده رباه في حجره. كيف نجا المقتول منه؟

١٧. لم ربى الله موسى عند شعيب عليهما السلام؟

١٨. بعد أن سمع شعيب عليه السلام قصة موسى عليه السلام قال له لا تخف. فلم؟.....

٣٧. (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى):

وهنا يذكر الله نبيه موسى بسابق أفضاله حال التجلي، (ولقد مننا عليك مرة أخرى)، ألا تذكر يا موسى:

(١) يوم ألقتك أمك في اليم فنجيناك من الغرق.

(٢) ألا تذكر يا موسى يوم كنت في يد فرعون ونادى على الذباحين فأنجيناك من الذبح، ولم نسمح ليد الطاغية فرعون أن تمتد إليك؛ أفنسمح له الآن أن تمتد يده عليك بالأذى؟ وربيناك في حضن عدوك وعدونا ولم نسمح له بالإعتداء عليك. ألا تذكر يا موسى كيف رددناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن؟!، ألا تذكر يا موسى فضلنا عليك يوم نجيناك من القتل بعد وكزك للقبطي، ألا تذكر يا موسى كيف اصطفيناك بكلامنا وخطابنا، لقد أعطيناك قبل أن تسألنا، أفلا نعطيك الآن ونحميك بعد أن سمعت خطابنا وبعد أن أوحينا إليك، ويذكره الله بأفضاله عليه حتى يبقى موسى دائما متواضعاً خاشعاً لله.

٣٨. (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى):

لقد أوحينا إلى أمك بمثل هذه الحالة، أوحينا إليها وهي نائمة وقيل ألهمناها، وقال ابن عباس: (أوحي إليها كما أوحي للنبين).

٣٩. (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عيني):

لقد ألقى الله في قلب أم موسى أن تجعله في التابوت، ثم تلقيه في النهر (نهر النيل) حيث يدفعه الماء إلى بستان فرعون. كل ذلك ليأخذه عدو لي وعدو له، وهكذا أوصل الله موسى الرضيع إلى فرعون الجبار الذي يبحث عنه والذي قتل من أجله آلاف الأطفال، أوصل الله موسى إلى فرعون؛ حتى يتربى في حجره وهو لا يدري أن ملكه سيزول على يده، وهكذا يكون سرّ الأقدار، وهكذا يتبين مدى جهل الإنسان بالغيب وجهله بكنه الأشياء وحقيقتها، وهكذا كاد قلب أم موسى ينخلع،فهي خافت عليه من فرعون، فأمرها الله أن تلقيه في اليم وأخبرها أن الذي خفت منه على موسى هو الذي سيربي موسى في حجره ؛ليعلم الناس أن أمر الله ماضٍ ولا راد لفعله، وأنه إذا أراد قضى المراد، وأن قدرة الله لا حدود لها. إذاً كيف يربي الله جل جلاله موسى في حجر فرعون؟ أليس عجيباً أن الذي يبحث عنه فرعون ليقتله هو في حجره وبين يديه ؟من هنا نعلم انّ الله اصطفى موسى في الأزل وهيّأه لتلقي النبوة،وألبسه ثوب المحبة عندما جعله نبياً، فما يراه أحد إلا أحبه، وكما جاء في الحديث الشريف: (إذا أحب الله عبداً نادى في ملائكته يا ملائكتي إني أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم ينادي جبريل في أهل الأرض إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيكتب له القبول في الأرض) أو كما جاء في الحديث الشريف. وهكذا حفظ الله نبيه موسى في

مواطن البلاء ورباه بأيدي الأعداء. و لتصنع على عيني في عين اللطف وبمقام القهر.

٤٠. **(إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى):**

أخت موسى اسمها مريم بنت عمران (غير مريم أم عيسى عليه السلام) توفيت سنة ١٤١٧ قبل ولادة المسيح، فلقد خرجت تتقصى خبره، وكان موسى لا يأخذ ثدي أحد، فأخذته أخته فأعطته ثديها فأخذه ومَصّه وفرح به فقالوا لها: تقيمين عندنا، فقالت لهم: إنه لا لبن لي ولكن أدلكم على من يكفله، قالوا من هي؟ قالت أمي، فجاءت الأم فقبل ثديها وذلك قوله: (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها) أي تطمئن عينها وتبرد، وقيل للسروردمعة باردة وللحزن دمعة ساخنة.

- **(وَقَتَلْتَ نَفْسًا):**

قتل موسى عليه السلام قبطياً خطأً وكان موسى عليه السلام ابن اثنتي عشرة سنة.

- **(فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ):**

أي أمناك من القتل والحبس والخوف.

- **(وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا):**

أي اختبرناك قبل الرسالة حتى صلحت لها ومن الفتون (حمله في السنة التي يذبح بها فرعون الأولاد – إلقاؤه في اليم – منعه من الرضاعة إلا من أمه – ضربه لوجه فرعون – أخذ الجمرة بدل التمرة – ثم قتله للقبطي حيث خرج خائفاً يترقب قال:(عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) الكهف ٢٤ – ثم رعاية الغنم وكونه أجيراً عند شعيب، ورعاية الغنم تدريب عملي على رعاية الأمم (وقيل أنه هرب له جدي فتبعه فأتعبه، وأتعب نفسه طيلة النهار، ثم أخذه وضمه وقبله وقال: أتعبتني وأتعبت نفسك ولم يغضب عليه. قال وهب: ولذا اتخذه الله كليماً، تفسير القرطبي.

- **(فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ):**

أي لبثت عشر سنين، أي أتم الأجلين وذهب بعدها بزوجته صفورا ابنة شعيب عليه السلام عائداً إلى مصر.

- (ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى):

أي جئت في الوقت الذي أردنا أن نجعلك رسولاً.

٤١. (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي):

اصطفيتك لوحيي ورسالتي ولتعلم عبادي أمري ونهيي، أي خصصتك بكلامي ومحبتي؛ فقطعه الله تعالى عن كل أحد ثم قال له:اذهب إلى فرعون.

الخلاصة: الآيات من ٣٧-٤١

ولقد مننا عليك مرة أخرى: يذكّر الله نبيه بسابق أفضاله حينما كان الخوف يملأ قلب أم موسى على ابنها من أن يذبحه فرعون فأوحى الله لها بطريقة الإنقاذ التي تبدو مرعبة في ظاهرها، فكيف تخاف عليه من الذبح ولا تخاف عليه من الغرق في نهر النيل؟، ولكن إيمانها أسلمها لحكمة الله وطاعته؛ فوصل موسى في الصندوق إلى عدوه، فموسى الضعيف في يد عدوه فرعون القوي، ولكن الله أقوى فلم يسمح ليد فرعون أن تمتد بسوء إليه، وألقى الله على موسى محبته فأحبه فرعون، وهكذا تتحطم أمواج الطغيان أمام

أسوار المحبة، وتتكسر السيوف والأقواس أمام أشعة المحبة، وهكذا خاب فأل فرعون الذي ظن أنه وجد ضالته يوم وجد موسى في حضنه، فالمحبة التي ألقاها الله على موسى كانت أقوى من كل الأسلحة والأحقاد. والمودة والمحبة تفعلان في النفوس مالا تفعله السيوف والحروب وقديماً قال الشاعر:

وكنت إذا خانني خل قديم وعقني

وفوقت يوماً في مقاتله سهمي

تعرض طيف الودّ بيني وبينه

فكسرت أقلامي وانثنيت ولم أَرْمِ

ثم إن هذا الذي تبحث عنه يافرعون لتقتله وقتلت من أجله الألوف من الأطفال، إنه بين يديك الآن فلماذا لا تقتله؟ والآن تبحث له عن مرضع، فسبحان الله ما أعظم تدبيره.؟ وها هي أخته الذكية الحصيفة ذات الحس الأمني تصبح دليلاً لكم على من يرعاه ويرضعه، فعاد الولد الرضيع موسى مع أخته إلى أمه فسبحان مالك الملك، أليس هذا كله من أفضال الله يا موسى؟ فسبحان المنعم! ثم قتلت نفساً فمن الذي نجاك من العقاب والخوف؟ ومن الذي هداك إلى مدين فأقمت في مدرسة النبوة تتعلم أخلاق الأنبياء على يد النبي شعيب عليه السلام، أليس هذا من أفضالنا؟ ثم جئت تطلب شعلة من نار فوجدت النبوة،

فلقد جئت في موعدنا وخصصناك بخطابنا وتكليمنا، رعيناك صغيراً ونجيناك من كل كرب، أفنتركك وقد أصبحت كليمنا؟ فسبحان ذا الفضل الكريم المنان!

الأسئلة الختامية:

يذكر الله جل جلاله موسى عليه السلام بأفضاله قبل النبوة وبعده. أوضح ذلك؟

١. رباه في حجر عدوه. فعلام يدل ذلك؟
٢. البلاء يكون حسب قوة الإيمان فكلما قوي الإيمان كان البلاء أوفى، أي أكثر. أوضح ذلك مع الأمثلة؟
٣. لم كانت الدورةالأولى من صدرالأم إلى التابوت والثانية كانت من حضن العدوإلى صدر الأم ؟
٤. امتازت أخت موسى بالذكاء والدهاء. أوضح ذلك؟
٥. ما تُذكر قصة موسى إلا ويُذَكّره الله بفعلته:(وقتلت نفساً) فلم ذلك؟
٦. من فضل الله سبحانه وتعالى أن موسى عليه السلام أقام في مدين. فما مظاهر هذا الفضل؟

ماذا نأخذ من الآيات لواقعنا الحالى:

١. نحن في حياتنا ننسى الفضل فيما بيننا، بل وربما نتنكر لصاحب الفضل علينا فقديما قيل لايعرف الفضل إلا اهله وكذلك قيل: (إذا أردت أن تصنع عدواً فأحسن إلى لئيم) والشاعريقول:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإذا أنت أكرمت اللئيم تمردا

أما الإسلام فقدأمرنا بالإعتراف بالفضل، ورد الإحسان بمثله على الاقل بدءاً من التحية،قال تعالى: (وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) النساء ٨٦. والله يقول: (هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ) الرحمن: ٦٠. ونظراً لانعدام هذه القيم في واقعنا المعاصر غدا كل واحد منا متنكرًا للآخرمتكبرا عليه، فحلت التفرقة ونكد العيش فيما بيننا.

ولذا يجب أن يسود فيما بين المسلمين التعامل بالفضل والإحسان لقوله تعالى: (**وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**) البقرة ٢٣٧. ولقوله صلى الله عليه وسلم: (من كان عنده فضل ظهر فليجد به على من لا ظهر له)، ويوم سادت الأنانية في المجتمعات الإسلامية، وتقوقع كل واحد مناعلى ذاته وآثر الحياة الدنيا وتنكر لأهل الفضل والعلم حلت البلية،و تمرد الصغير على الكبير والسفيه على الحليم، وانعدم الخير، وذهبت ريحنا، فالله جل وعلا ذكّر نبيه موسى عليه السلام بأفضاله سابقاً ولا حقاً؛ حتى يبقى شاكراً لله ملتزماً أوامره.

٢. إن وعد الله لا يخلف.

إن الله وعد أم موسى برد موسى ثم بجعله نبياً، وقد صدق الله وعده كما أنجز وعده بجعله نبياً، ومن صفات المؤمن إذا وعد وفى، وعكس ذلك من صفات المنافق إذ أن الخلف في الوعد سمة من سمات النفاق، وقد ساد في هذا العصر الخلف في الوعد حتى شمل الداءبعضًامن عليّة القوم في الدين للأسف الشديد، ولازلت أذكر كلمة أحد شيوخنا الذي دعي إلى اجتماع فما وجد غير نفسه فقال بمرارة للأسف من عادة العلماء في هذا العصر الخلف في الوعد وقديماً قيل للعلماء: (أنتم ملح البلد فماذا يفعل الناس إذا الملح فسد)، وإذا أمعنا النظر فنجد شمولية هذا الداء لعامة الأمة وخاصتها إلا من رحم ربي، وذلك دلالة على عدم احترام الأمة للوقت وعدم احترامها لذاتها،وعلى عدم قدرتهاعلى الابداع ضمن الوقت وعلى سيادة البطالة والفوضى وانعدام التخطيط اليومي بل السنوي، فغالبنا لا يخطط ليومه بل ولا لحياته تخطيطاً سليما،والاسلام أمرنا بالتخطيط والعمل لآخرتنا لما بعد الموت للقبر والنشر والحشر والحساب والجنة..... وقد حث الإسلام على الوفاء بالوعد. وقد وعد الرسول صلى الله عليه وسلم رجلاً في ظاهر المدينة وكان يختلف إلى ذلك المكان ثلاثة الأيام حسب الوعد،ثم إن الرسول بعدها وجد الرجل فما زاد على أن قال: لقد شققت علي يا أخي.

إن عدم احترام الوعد يولد في النفس القلق الذي يفضي إلى الإنزعاج وإلى أمراض جسدية ونفسية، فضلاً إلى ما يولده من جدال وشحناء وانعدام ثقة. و الأمم الراقية في دنياها قد التزمت التزاماً حرفياً في هذا المبدأ وطبقته في كل مجالات حياتها، فأنجزت وسادت، ونحن ضيّعنا أسس هذه المبادئ السامية فضعنا في خضم الحياة،والآن لابد لنا من أن نصحو؛ فليلتزم كل واحد منا بما يَعِدُ نفسه وروحه، وكذلك بما يعد أسرته ومجتمعه وأصدقاءه، فإذا وعدك أحد في الزيارة الساعة الخامسة مساء يوم الجمعة فقد لا يأتيك إلا في الجمعة القادمة وبدون أي اعتذار، فلننتبه أيها الإخوة إلى خطورة الخلف بالوعد، وليقلع كل واحد منا عن هذه العادة الذميمة، ولنتخلق بأخلاق القرآن وأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣. الإيمان بنصر الله.

- لو لم يكن عند أم موسى يقيناً بالله، ما ألقت ابنهافي اليَمِ وهي، الخائفة عليه من القتل، وما كان لها أن تلقيه في اليم لولا يقينها بالله، إذ كان عليها أن تبحث له عن مكان آمن تحت الأرض، أو في ظاهر المدينة، أو حتى إنها لتفضل أن يموت بين ذراعيها، وتدفن أعظمه، وتتسلى بقبره، على أن تلقيه في اليم، ولكنه الإيمان بوعد الله ونصره لها، فقد وعدها جل وعلا (إنا

رادوه إليك)، فلما رُدّ إليها، طردت الحزن، وقرّت عينها بولدها، والله فعال لما يريد،فلقد غادرها موسى عليه السلام في رحلة الغرق صباحاً؛ ليعود إليها مساءً محملاً مبجلاً، وقيل عاد إليها بعد يومين أو ثلاثة. وهذا حال من يثق بوعد الله، فعلى الأمة عامة والنساء خاصة، أن يمتلكن الصبر على فراق أبنائهن، وأن يمتلكن اليقين بالله، والتسليم له.

٤. الفتاة المؤمنة ذكية واعية، فما كان لأخت موسى وقيل اسمها مريم أن لا تملك زمام عواطفها ومشاعرها الأخوية، لقد كانت حصيفة ذكية ملكت عواطفها ودموعها ومشاعرها، وتصرفت كرجل أمن ذكي متجاهلة صلة القربى كاتمة على مشاعرها الأخوية، ماعدا مشاعرها الإنسانية حيث قالت: (هل أدلكم على من يكفله)، لقد اتخذت موقف الدليل الشفوق الرحيم الخادم للملك والطفل، وهي ذات الحس الأمني السامي والذكي،فكانت مثالاللفتاة المسلمة، وأختاً لأسماء بنت الصديق، فمتى تتخلق نساؤنا بأخلاق أم موسى وصبرها وحصافة أخت موسى عليه السلام.

٥. على المجتمع النسائي أن لا يظن أنه في منأى عن تحمل أعباء الدعوة، أو العمل الإسلامي، إن المجتمع المخملي أو النسائي له الدور الهام والفعال في الدعوة إلى الله. لقد قدمت أم موسى ابنها، وفعلت ما أمرها الله، وتغلبت على عاطفة الأمومة: (إن

كادت لتبدي به). كما أدت مريم أخت موسى دورها في تلقط الأخبار، وتوجيه المسار نحو المكان الآمن وهو حضن الأم، دون أن تكشف لأحد عن هويتها، ولوفعلت ذلك لانكشف أمر موسى عليه السلام، ولكن الله سلّم وهدى. وهكذا المرأة والفتاة في المجتمع الإسلامي، ليست متاعاً، أوعهدة، أو خادمة بيت، أو ربة بيت فقط، أو دمية يُتَلاعب بها، وإنما هي صانعة الأجيال والتاريخ، وهي صنو الرجال، يصيبها من البلاء ما يصيبها، فتحتسب ذلك عند الله طائعة مختارة، وما البلاء الذي نزل بأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم، أو بالصديقة مريم عنا ببعيد مصداقاً

لقوله صلى الله عليه وسلم: (أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل....).

التطبيق العملي للآيات من ٣٧ ـ ٤١

- (أن اقذفيه في التابوت): أطاعت أم موسى ربها فوصلت إلى مبتغاها في الدنيا والآخرة. فمن أطاع الله فاز ونجا ونال ما ابتغى في دنياه وآخرته (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) فطاعة الله سبيل السعادة.

- (وألقيت عليك محبة مني): على المؤمن أن يفيض بالمحبة لعباد الله الذين خلقهم بيده، فيكون في طور الدعوة رحيماً شفوقاً محباً لهم، فيحببهم بالله ويبشرهم بثوابه وكرمه ويعدهم بسعة عفوه ورحمته لقوله صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا).

- (وقتلت نفساً فنجيناك من الغم): من كان مع الله فَمِمَن يخاف؟ ومن أيقن بسعة رحمة الله وفرحته بتوبة عباده فعلام يقنط؟ وإن الله قد غفر لهذه الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، فليس المُهم أن تُذْنِبَ، وإنما انظر مع من تذنب، وتعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، فالله وحده كاشف الغمّ فارج الهمّ رحمان الدنيا والآخرة التواب الرحيم.

وهكذا لا يكون المسلم إلا نصوحاً حياً وميتاً كما فعل مؤمن آل ياسين: **(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**

(٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي آَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦)) سورة يس. والمحبة هذه تأتي من نور الله يضفيها الله على عباده المقربين إليه، كما جاء في الحديث الشريف: (**وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر فيه، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**) فإذا أحاط الله عبده بهالة الحب الرباني أحبه الناس، وإذا أحبوه أطاعوه.

المقطع الخامس: الآيات من ٤٢ ـ ٦٤:

الموضوع: أدب الأنبياء عليهم السلام فى الدعوة والإصلاح.

وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا
فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ
أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ
كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾
قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟
وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ
أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ ﴿ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴾ ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ ﴿ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾

شرح المفردات:

- **بآياتي:** ببراهيني ومعجزاتي.
- **ولا تنيا:** لا تبطئا - لا تضعفا.
- **ذكري:** ذكر الله عند مواجهة فرعون ليقوى على المواجهة.
- **طغى:** تمرد وتجبر على الله.
- **يفرط:** يعجل بعقوبتنا – يعتدي علينا.
- **تولى:** أعرض عن الحق.
- **آية:** معجزة ودلالة.
- **يتذكر:** يرجع عن المحذور.
- **ليناً:** لطيفاً وقيل هي: لا إله إلا الله أو كل كلام رقيق سهل.
- **تولى فرعون:** أي انصرف عن موسى معرضاً متكبراً عليه.
- **ما بال:** ماحال الأوائل من الكفرة؟

- **القرون:** الناس القدامى.
- **لا يضل:** لايفوته شيء.
- **مهداً:** مكاناً تستقرون عليها.
- **سلك:** جعل لكم طرقاً.
- **أزواجاً:** أنواع النباتات كزروع وأشجار.
- **شتى:** أنواع مختلفة (حامض – حلو – ومرّ.....).
- **النهى:** العقول السليمة.
- **سوى:مكان** مستو حتى يراه جميع الحضور.
- **يوم الزينة:** يوم العيد أي النيروز.
- **كيده:** قوته المضادة لموسى.
- **خاب:** خسر.
- **ويلكم:** دعى موسى عليهم بالهلاك.
- **لا تفتروا:** لا تكذبوا على الله والإفتراء شدة الكذب: لا تتقولوا.
- **فيسحتكم:** يهلككم بعقوبة.
- **افترى:** كذب كذباً شديداً.
- **فتنازعوا:** اختلفوا في شأن موسى وهارون هل هما ساحران أم نبيان؟.
- **النجوى:** التناجي فيما بينهم، والنجوى الحديث بالسر
- **بطريقتكم المثلى:** بخيركم، الطريقة المثلى: الحالة التي أنتم عليها، وقيل بملككم ومعيشته الكريمة وقيل بطريقة شرفائكم.

- **أفلح:** فاز بالمطلوب

الأسئلة التمهيدية:

١. ذكر الله تعالى موسى بأفضاله سابقاً ولاحقاً. أوضح ذلك؟
٢. زوده الله بالمعجزات وأعطاه سؤله وذلك قبل التكليف. اشرح ذلك؟
٣. من وسائل نجاح الدعوة وضوح الأدلة وقوة الصلة بالله. أين تجد ذلك في الآيات؟
٤. علّم الله موسى أدب الحوار مع الطاغية. أوضح ذلك بالتفصيل؟
٥. ماذا قالا لفرعون بداية؟
٦. بم اتسم الحوار بين كليم الله وطاغية عصره؟
٧. عدل موسى عن الذات إلى ذكر الأفعال والآثار واستمد ذلك من واقع البيئة المصرية. أوضح ذلك؟
٨. حَوَّلَ الطاغية مضمون رسالة موسى وافترى عليه، وهذه سمة الطغاة مع الدعاة في كل عصر. ناقش ذلك؟
٩. اتسمت المعجزات بمواءمتها للسائد في كل عصر. فماذا تجد من ذلك في الآيات؟
١٠. امتازت لغة موسى عليه السلام بالأد ب في مخاطبة فرعون وفي تعامله مع السحرة. أوضح ذلك؟
١١. كان الموقف مخيفاً فبم تفسر ذلك؟

١٢. جاء الحق وزهق الباطل. ما الآية التي توضح ذلك؟

١٣. كانوا سحرة صباحاً ثم غدوا مساءً شهداء بررة. أوضح ذلك؟

١٤. الإيمان إذا خالط القلب لا يقف أمامه شيء. أوضح ذلك من خلال إيمان السحرة؟

١٥. كان السحرة مستبشرون بعد أن آمنوا. اشرح الآيات التي توضح ذلك؟

شرح الآيات من ٤٢ – ٦٤:

٤١. (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي):

اخترتك لأمر عظيم واستخلصتك لنفسي لتبلغ رسالتي، وحِلْتُ بينك وبين الناس،وبذا قطعه الله عن التعلق بغيره وجرّده من كل أحد لتوحيده وتبليغ رسالته ثم قال له :

٤٢. (اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي):

اذهب أنت وأخوك هارون تصحبكم آياتي؛ لتدل على صدقكم أمام فرعون، ولا تقصرا أو تضعفا في ذكري في كل الأحوال، وخاصة عند فرعون ليكون ذكري عوناً وقوة لكما وكسراً لسلطان فرعون، ولا تنشغلا به عني وقد جاء في الحديث الشريف: **(إن عبدي كل**

عبدي للذي يذكرني وهو مناجز قرنه)، أي: العبد حقيقة الذي قام بمقام العبودية ووفاها حقها هو الذي يذكر الله وهو مناجز قرنه. وهذا الحديث رواه الترمذي في السنن من حديث عمارة بن زعكرة رضي الله عنه. وقال الترمذي هذا حديث غريب ولا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي. والحديث إسناده ضعيف، لكن معناه صحيح، فالذي يذكر الله وهو مناجز قرنه قد جمع بين عبادتين: الجهاد وذكر الله. وفي حديث آخر: (أنا جليس من ذكرني) فكيف يخاف من يجالس الله؟ و هو لا يفتر ولا يتوانى عن ذكره وكيف يخاف من أحد ومعه القوي العزيز سبحانه وتعالى.

٤٣. (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى):

ويتكرر الأمر ثانية للتأكيد، (اذهبا إلى فرعون)، ولماذا؟ إنه طغى. فمهمة الأنبياء والمصلحين مجابهة الطغيان، وهكذا يرسل الله أنبياءه لأعدائه، ليقيم عليهم الحجة ويظهر كذبهم.

٤٤. (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى):

يقول البقلي في تفسيره: (ليس للأعداء عند الله من الخطر، ولكن يرسل أنبياءه ليخرج أولياءه من أعدائه الكفار)؛ فلربما شرحت قلوب للهداية مثل: قلب حبيب النجار الذي نصح قومه حيا وميتاً (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين) وكرجل من آل فرعون يكتم إيمانه ؛ وهوالذي أنذر موسى بأن القوم يأتمرون به،

وكامرأة فرعون آسيا المؤمنة، وكالسحرة الذين آمنوا آخر النهار. فالأعداء لا خطر لهم عند الله وإنما خطره على أوليائه. وكما أن الله لطيف بأوليائه فإنه يظهر لطفه أيضاً بأعدائه لقوله تعالى: (فقولا له قولاً ليناً)، هكذا أمر الله موسى وهارون أن يخاطبا فرعون بالقول اللين السهل الرقيق، فأمرهما الله أن يتخلقا بخلق الله في تأديب عباده، ولأن الله يعلم حدة موسى وقلة احتماله لرؤية الكفرة المخالفين.

قال يحيى بن معاذ : هذا رفقك بمن آذاك؛ فكيف رفقك بمن يُؤْذَى من أجلك؟ وقال النهرجوري: إن الله أمر موسى عليه السلام باللين في القول لأن فرعون أحسن إلى موسى (في صغره) ولم يكافئه، فأحب الله أن يكافئ فرعون عن موسى؛ فأمره باللين في مخاطبته، وهذا يدل على أن الله لا يضيع مثقال ذرة، ويدل أيضاً على ضرورة مكافئة المحسن على إحسانه أياً كان. ولقد قيل: هذا رفقه تعالى بمن قال أنا ربكما الأعلى، فكيف برفقه بمن قال أنت ربي الأعلى؟ وقيل:هذا رفقه بمن جحده فكيف رفقه بمن وحّده؟ ولم يخبرهما أنه لن يؤمن حتى لا يَفْتُرا في دعوته إلى الله.

قال القشيري في اللطائف: (وإنما أمرهما الله بالملاينة بالخطاب لأنه كان أول من دعوه إلى الدين، وفي حال الدعوة يجب اللين لأنه وقت المهلة حتى ينظر ويتبين، ثم إذا ظهر تمرده خوفه بالغلظة وقيل إن الله علمهما خطاب الأكابر وإن كانوا كفاراً إلا أنه كان سلطان وقته والمتسلط على عباد الله).

(لعله يتذكر أو يخشى): و (لعل) تفيد ترجي موسى بأن يتذكر فرعون ويتبصر ويتعرف إلى الحق أو أن يخشى العقاب فيطيع ربه فلعله يؤمن عن تبصر أو عن خشية.

٤٥. (قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى):

ناجى موسى وهارون ربهما بعد أن تهيئا للذهاب إلى فرعون ولكنهما تبصرا بالنتائج فقالا: (إننا نخاف أن يفرط علينا) أي أن يعجل بعقوبتنا بالقتل، أو غيره قبل أن نتمكن من تبليغه (أو أن يطغى) على الله بالتنقيص من قدره تعالى كقوله: (**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) سورة القصص آية (٣٨)**. وهذا الخوف عند هارون وموسى علامة الغيرة على جانب الله تعالى.

٤٦. (قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى):

قال لا تخافا من أن يفرط عليكم أو أن يطغى على ربه فإن ذلك لن يحدث أبداً،ولا داعي للخوف والله يقول لكم: (إنني معكما) أحفظكما، (أسمع وأرى) أي أحفظكما قولاً وعملاً فكيف يخاف من كان الله معه. قال القشيري: (وفي الآية دليل على أن الخوف الجبلي الفطري لا يلام صاحبه عليه وقد سكن الله خوفهما ووعدهما بالنصر). وقيل إنهما

خافا أن لا يقوما بأمر الله لِكيْدٍ يكيده فرعون فذلك الخوف لأجل الله لا لأجل حظوظ أنفسهما، وأنى بالخوف لمن هو مخصوص بالنبوة؟ ولذا سكّن الله خوفهما، إذ من شرط التكليف التمكين فحتى يقوما بالتكليف فلا بد لهما من التمكين من وسائله بداية ونهاية.

٤٧. (فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى):

فأتياه: قال ابن عباس مكثا على بابه حيناً لايؤذن لهما حتى أذن لهما بعد حِجابٍ شديد. فقد وقفا على باب قصر فرعون وهما يقولان: إنا رسولا رب العالمين؛ فأخبروا هذا الرجل (أي فرعون) فمكثا كما ذكر محمد بن اسحاق سنتين يغدوان ويروحان لا يؤذن لهما حتى جاء مهرج فرعون فقال له: أيها الملك إن على بابك رجل يقول عجباً وهو يزعم أن له إلها غيرك أرسله إليك؛ فَأذِن لهما فقال موسى لفرعون (إنا رسولا ربك)، وقد أضاف كلمة رب إلى ضمير الخطاب (ك) أي إلى فرعون وذلك مزيداً في الدعوة والتذكير، ثم أبلغاه طلبهما وهو إرسال بني إسرائيل الذين كان يعتبرهم فرعون خدماً وعبيداً لأنه أحلهم بأرضه وهذا تعذيب لهم. ولما طال البلاء على بني إسرائيل تداركهم الحق بالإنقاذ وأخذ فرعون أخذاً وبيلاً، ويوم كانوا أذلاء بعيدين عن الدين لم يأبه الله

بهم، ولذا جاء موسى لإنقاذ بني إسرائيل وتكوين أمة مستقلة تحكم بالشريعة.

- (قد جئناك بآية) أي جئناك ببينة على صدقنا ولكن تلك الآية لم تنفعهم وإنما أقامت الحجة عليهم، وتلك الآية هي انقلاب العصا حيّةً (والسلام على من الهدى)، أي والسلام عليك إن اتبعت الهدى.

٤٨. (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى):

لقد أوحى الله إلينا أن العذاب على من كذب بآيات الله وأعرض عن طاعته.

٤٩. (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى):

أنكر فرعون وجود الله، ورفض أن يقول (فمن ربي) وأعرض إلى قوله (فمن ربكما) إمعاناً في إنكار ربوبية الله له. وأجاب موسى عليه السلام السؤال بالإستدلال على فعله سبحانه وتعالى فقال :

٥٠. (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى):

وفرعون شيء وهو داخل في قوله كل شيء. فما من شيء من العرش إلى ما تحت الثرى إلا خلقه الله بقدرته وأودعه قدرات شتى، وأحاطه بلطفه ورحمته ثم أعطاه ما يعرف به صانعه، قال تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ الأَّيُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) الإسراء ٤٤.

ونلمح هنا تكرار كلمة ربك لتأكيد ربوبية الله لفرعون وللخلائق كلها ولنفي ربوبية فرعون، وإطلاق كلمة السلام والعذاب دون تقييد يدل على تعميم البشارة والإنذار في الدنيا والآخرة.

٥١. (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأولَى):

بعد أن أوضح سيدنا موسى عليه السلام لفرعون بأنه مرسل من قبل الله الخالق الرازق الحكيم الذي أعطى كل شيء خلقه وهداه لطريقة معيشته وقدر كل شيء وهداه، أراد فرعون أن يكف موسى عليه السلام عن حديثه عن خالقه حتى لايؤثر كلامه على حاشية فرعون فسأل موسى عليه السلام ما بال القرون الأولى؟ أي ما حال الأقوام الذين عبدوا غير ربك كعاد وثمود؟ فقال :

٥٢. ((قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى))

ذلك غيب تسألني عنه وإنما علمه عند الله ولا أخبركم بشيء إن كان ربي لم يخبرني عنه، وسيجزيهم الله بعملهم،أما حالهم فمكتوب في اللوح المحفوظ الذي تحفظ فيه الأعمال و (ربي لا يضل ولا ينسى)، ربي عليم لا يغيب عنه شيء ولا ينسى شيئاً من أعمال البشر فحال القرون الأولى مضبوط في اللوح المحفوظ، ثم تابع موسى عليه

السلام في عرض آثار تدبير الله لهذا الكون مستمداً هذه الآثار مما يحيط ببيئة فرعون، بيئة مصرأم الدنيا وذات التربة الخصبة والماء الغزير والأنهار والأنعام.

٥٣. ((الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى))

الذي تسأل عنه يا فرعون هو ربي وربك الذي جعل الأرض ممهدة للحياة ولو لم تكن كذلك، فمن يستطيع أن يسويها ويمهدها لو كانت إبراً حادة، أو جبالاً حادة، أو أرضاً زلقة، كيف سيعيش عليها الإنسان؟! إن الله جعل هذه الأرض لطيفة هينة لينة لين مهد الصغير، وكلمة (جعل) تفيد التحويل من شيء إلى شيء وتلقي ظلالاً لعلماء الجيولوجيا حتى يتفيؤوا هذه الظلال، فالله مهد الأرض لهذا الإنسان وإن أرض مصر لتبدو ممهدة تمهيداً رائعاً لسكانها، فالطرق السهلة الخصبة والأنهار الغزيرة والمطر الغزير، كل ذلك يساهم في إخراج صنوف النباتات والزروع والأزواج البهيجة متاعاً للإنسان والحيوان، لقد كانت مصر تعتبر بالماضي أم الدنيا لما في معنى كلمة (أم) من خير وحنان وعطاء أو تسمى بسلة العالم، واليوم نجد من يتزاحم فيها على رغيف الخبز فماذا جرى؟!

إن ما أودع الله في الأرض من قدرات هائلة تجعلها تهتز وتنبت من كل زوج بهيج - وهذا مما يعجز عنه الخلق جميعاً - ليعتبر دليلاً واضحاً أدلى به موسى عليه السلام أمام فرعون الذي بُهت وخشي من قوة دليل موسى وشدة تأثيره على الناس؛ فهرب من سؤال إلى سؤال، ثم عمد إلى التكذيب والاتهام والتهديد... إلخ. هذا وإن المتأمل في دورة حياة النبات والإنسان ليرى عجباً، فسبحان الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى.

٥٥. ((مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى))

- الأجسام وعاء الأرواح، والأجسام ترابية من الأرض التي أشرقت بنور ربها، وقد شرف هذا الطين بقوله تعالى: (خلقت بيدي) و (ونفخت فيه من روحي) الحجر٢٩. وقيل ليحيى بن معاذ: ما بال الإنسان يحب الدنيا؟ فقال: حق له أن يحبها، فمنها خلق وهي أمه، وفيها نشأ فهي عيشه، ومنها قد قدر رزقه فهي حياته، وفيها يعاد وفيها كفنه، وفيها كسب الجنة فهي مبدأ سعادته، وهي ممر الصالحين إلى الله، فكيف لا يحب طريقاً يأخذ بسالكه إلى جوار ربه؟

- من هذه الأرض التي تدوسونها بأقدامكم أخرجنا لكم أزواجاً من نبات شتى،من هذه الأرض أيضاً خلقناكم، فالأرض أم لكل من عليها

من إنسان ونبات وحيوان، وفي هذه الأرض أيضاً نعيدكم والخطاب

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾

للجميع فلا أحد مصنوع من ذهب خاص ولا أحد يذهب بعد موته إلا إلى الأرض حيث تتساوى البدايات والنهايات، من تراب (أصل الخلق) وإلى تراب (بعد الموت)، وما بينهما لعب بالتراب كانت(الحياة الدنيا)، وإنما يسمو الإنسان الطيني بما ينفخ فيه من (روح الله). وما التراب إلاوعاء للنفخة الربانية الخالدة فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين.وهكذا تألق الطين يوم تألق فيه نور رب العالمين قال تعالى: (إذقَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ) ص٧١

(ومنها نخرجكم تارة أخرى) لن تطول إقامتكم في الأرض، وكماقيل (فالدنيا ساعة فلنجعلها طاعة)، لن تطول إقامتكم مع التراب وفي التراب لنخرجنكم منه إلى قناديل الجنة، فمن طابت روحه فروح وريحان ورب غير غضبان، ومن دسَّ نفسه فقد خاب وخسر.أما الإخراج الأول فقد كان يوم خلق الله آدم من طين،والإخراج الثاني يوم ينفخ في الصور وينادي المنادي أيتها العظام النخرة،أيتهاالشعور المتناثرة، أيتها العيون المسدلة... قوموا ليوم الحساب (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) يس٥١، (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون).الزمر٦٨

وهذا تذكير لفرعون أنه من هذه الأرض جاء، وعلى ظهرها مشى،وإليها سيصير ومنها سيخرج يوم القيامة فرداً، فكيف يدعي الألوهية من كان هذا شأنه؟!.

٥٦. (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى):

وهكذا تتتالى الأيات الكونية أمام فرعون؛ فهو يرى أرض مصر الممهدة حوله والسبل الكثيرة،ويرى كيف تتساقط الأمطار؟! وكيف يتدفق نهر النيل بالخير؟!، وكيف تهتز الأرض وتربو وتنبت من كل زوج بهيج؟كل ذلك تبصرة وآيات له علّه يبصر بقلبه، إلا أنه لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، فهذه الآيات تتالى وتتكرر أمام نَاظِرَيْهِ فما يزداد لها إلا تنكرا، وإذا كانت هذه الآيات قد تنكر لها بداعي الألفة والتكرار، فهذه آيات أخرى جاء بها موسى عليه السلام من عند ربه يراها رأي العين هو وحاشيته:هذه العصا أمام عينه تبطل عمل السحر،وهذه اليد تخرج بيضاء من غير سوء؛ فما له يصد عنها ولا يزداد إلا تكبراً و تكذيباً وافتراءً وتحدياً وتحويلاً لمجرى المعركة، ويكيل اتهامات باطلة يجعلها تنصب على موسى صباً، شأن الطغاة في كل زمان ومكان يتهمون الشرفاء ويفترون عليهم.

٥٧. (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى):

مَنْ مَهّد الأرض للحياة؟ من أنزل الأمطار؟ من فجّر الأنهار؟ من أنبت الزروع والأشجار والثمار؟ من صنع لكم ولأنعامكم الطعام؟ أليست عندكم عقول تبصرون بها؟ من أين جئتم؟ ألستم من تراب؟ ومآلكم إلى التراب؟ ومن التراب نخرجكم؟ ألا تبصر يا فرعون كل هذه الآيات؟ ألا تعقل وأنت ترى كيف يولد الإنسان وكيف يوارى الثرى؟ ألا ترى إلى الحياة والموت كيف تتالى؟ ألا ترى إلى العصا الميتة كيف غدت ثعباناً يسعى؟ ألا ترى إلى اليد السمراء وقد خرجت أمام ناظريك بيضاء ذات نور ساطع وجمال فاقع ومن غير سوء؟ أين أنت يا فرعون من كل هذه الآيات؟ أليس عندك إلا التكذيب والإفتراء؟ هل عَزّ عليك الإذعان لرب موسى؟ ألم تأخذك العزة بالإثم يوم قلت أنا ربكم الأعلى؟ وكيف يليق بك أن تفتري على موسى عليه السلام وتعد الآيات التي جاء بها من عند ربه سحراً محضاً، وتضلل بذلك الناس ثم تفتري على موسى عليه السلام قائلاً: إنك ما جئتنا يا موسى إلا لتخرجنا من أرضنا بسحرك،وأضاف السحر إلى ضمير موسى تحقيراً لموسى وماجاء به، فهل قال موسى عليه السلام ذلك؟ هل قال: إنه يريد أرضك وطردك؟ ألم تسمع إليه عليه الصلاة والسلام وهو يقول لك:(إنا رسل ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية والسلام على من اتبع الهدى).

إن تضليل الشعوب هو ديدن المستبدين والطغاة في كل زمان ومكان،وإن اتهام المصلحين بأنهم يريدون قلب نظام الحكم والإستئثار بخيرات الأمة لأنفسهم ونزواتهم محض افتراء، وهكذا يقلب الطغاة الحقائق ويفترون على الشعوب ويضللونهم تحت المسمى المزعوم (الحرص على مصالح الأمة).

٥٨. (فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى):

فلنأتينك: توحي بإصرار فرعون وتحديه لموسى وغضبه، ولما أسند فعل نأتي إلى ضمير المتكلم (فرعون) إنما أراد تعظيم نفسه،فذهب فرعون وجمع كيده وأحضر السحرة. إذ السحر لابد له من ساحر على حد زعم فرعون، وكلمة (مثله) هي مماثلة في جنس السحر وليست في قوته. وقد خشي فرعون من اتباع الناس لموسى عليه السلام ؛فادعى أن عمل موسى مجرد سحر غرضه إخافة الناس ونزع الملك من فرعون، وتجهز فرعون لرفض الحق،واستمر في ذلك طالباً من موسى عليه السلام تحديد موعد ليُحْضِر له السحرة وليتقابلوا مع موسى عليه السلام، والمقصود بالموعد تحديد الزمان والمكان.

لا نخلفه:) يحذر فرعون من خطورة اخلاف الموعد زماناً ومكانا

(سوى): مكاناً متوسطاً في المدينة حتى لا يشق الحضور على أهل المدينة وقيل: (سوى) أي الأرض المستوية ليس فيها مرتفعات تحجب الرؤية؛ ليشهد الناس أعمال موسى عليه السلام وأعمال السحرة.

٥٩. (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى):

ولذا حدد موسى مكان الموعد وزمانه، وهو يوم الزينة يوم عيد عندهم حيث يتفرغ الناس للرؤية ويكون الوقت ضحى لتكون هناك سعة من الزمن إن طال سحر السحرة، ولأن وقت الضحى أجمل الأوقات في اليوم، ولأن الأشياء تكون واضحة فيه والناس ينشطون لرؤية التقابل بين موسى عليه السلام والسحرة، ولأن الشمس تكون لطيفة وليس كالظهر حيث تشتد الحرارة أو كالعصر حيث تضعف الرؤية ويضيق الوقت.وهكذا على المسلم أن يجيد اختيار الزما ن والمكان المناسبين لتحقيق أهدافه الحياتيه والدعوية.,

٦٠. (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى):

انصرف فرعون ليرسل الرسل إلى المدائن لإحضار السحرة وإعداد الحيل السحرية لإقناع الحاضرين بفشل موسى عليه السلام وأنه ليس على شيء وهذا ما نجده في عصرنا بل وفي كل عصر حيث أن الناس في المناظرات يعمدون إلى التشهير ببطلان حجج الخصوم بكل وسائل التشهير والتشكيك، والسعي إلى وهن الخصم وإضعافه، والفَتّ في عضده حتى يعجز عن تدبير أمره، وهذا ما نجده في انتخابات

الدول التي تدعي الديمقراطية، أما التي لا تدعي الديمقراطية فليس للخصم حد إلا السيف وكفى. لقد كان فرعون في مناظرته هذه أقل سوءاً من طغاة العصر الذين يرفضون مبدأ المناظرة،بل يرفضون مبدأ الوجود الإنساني والحقوق الإنسانية لغيرهم، ويفيد تتالي حرف (الفاء) سرعة فرعون في إنجاز إحضار السحرة خوفاً من أن يفلت الأمر من يديه، فيتبع الناس موسى عليه السلام. أما (الكيد) فهو إضمار الشر وإظهار غيره إلى وقت لزومه.

٦١. (قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى):

جمع فرعون كيده وأتى بالسحرة في الميعاد المحدد، فحذرهم موسى عليه السلام من اختلاق الكذب والإفتراء على الله وعلى معجزاته بالتكذيب، فتتهمونها بالسحر، ومن يفعل ذلك فإن الله يستأصله ويهلكه (وقد خاب) أي خسر وهلك مَنْ كذب على الله.

ويلكم: أمرالله موسى بالملاينة فَلِمَ لجأ إلى العنف والتهديد في قوله (ويلكم) أي الهلاك والدمار لكم إن كذ بتم على الله؟.لقد قيل أنه لجأ إلى غلظة القول مع فرعون؛ لتصميمه على الكفر بعد أن ألان له القول بداية، وقيل: إن زجر موسى لفرعون بالقول إنما كان بأمر من الله تقييداً لمطلق إلانة القول، وقيل أنه رأى واجباً عليه تغيير المنكر بلسانه بأقصى ما يستطيع لانهم قالوا: (بعزة فرعون إنا لغالبون).

قال بعض أهل الحقائق أن موسى لما التقى بالسحرة قال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب، قال له جبريل :يا موسى ترفق بأولياء الله، قال موسى عليه السلام:هؤلاء سحرة جاءوا بكيدهم يناصرون أعداء الله وتقول ترفق بهم! فقال جبريل: يا موسى هم من الساعة إلى صلاة العصر هم عندك وبعد صلاة العصر هم في الجنة. هنا خاف موسى عليه السلام من أن يكون في حالة وهو عند الله في حالة أخرى قائلاً: وما يدريني ماعلم الله فيَّ، فَعلَم الله مافي قلبه فقال له: (لا تخف إنك أنت الأعلى) أي أنت الغالب لهم في الدنيا وفي الدرجات العلى في الآخرة. وقيل (ويلكم): أي أتعجب من إصراركم على الكفر!.

٦٢. (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى):

أدّت موعظة موسى عليه السلام للسحرة دورها؛ وفَتّتْ في عضدهم وفرقتهم وجعلتهم يتنازعوا فيما بينهم، قيل أنهم تشاجروا فيما بينهم إذ قال قائلهم: ليس هذا بكلام ساحر إنما هذا كلام نبي وقائل آخر يقول إنه ساحر، وآخر يقول:لئن غلبنا موسى لنتبعنه (وأسروا النجوى) تحدثوا سراً ليخرجوا برأي لا يطلع عليه أحد وكلمة (أسروا) تفيد المبالغة في الكتمان، ويزيد ذلك وصفها كلمة (بينهم). فإن موعظة موسى عليه السلام أوقعت الإرتباك في صفوف السحرة، وأحوجتهم إلى التناجي سراً، وهكذا تنزل الكلمة الصادقة أي (ويلكم لا تفتروا

على الله كذبا) الصادرة عن عقيدة كالقذيفة في معسكر المبطلين وبين صفوفهم فتزعزع اعتقادهم في أنفسهم وقدراتهم وعقيدتهم) من الظلال لسيد قطب. وهكذا على المؤمن ألا يَضنّ على الناس بالكلمة الصادقة والموعظة الحسنة،

٦٣. (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى):

لقد خلص المتناجون إلى قولهم: إن موسى وهارون ساحران غرضهما إخراجكم يا أهل مصر من دياركم وتشويش عقيدتكم والقضاء على ملككم وأن يذهبا بأشرافكم وقيمكم النبيلة وحياتكم الهنيّة، وزعموا أنهما- أي موسى وهارون عليهما السلام- كاذبان في دعواهما وما جاءا به، وهكذا كان إفتراء السحرة وأعوان فرعون على موسى لتضليل الشعوب.

٦٤. (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى):

لقد جَسّم فريق فرعون الخطر، وجمع السحرة حيلهم، ثم جاؤوا صفاً وغدوا على حرد قادرين يشجع بعضهم بعضا، فهذا يوم النصر وقد أفلح وفاز من غلب واستعلى، فإذا انتصر السحرة فلهم الجوائز الثمينة وقد وُعِدوا بها،أما إذا انتصر موسى فله الرياسة العظيمة.

خلاصة الآيات من ٤١- ٦٤:

مجمل التفسير: كشف الله لموسى الغطاء فكلمه وأوحى له بالنبوة، ثم أيده بالمعجزات والأدلة والبراهين وذكره بفضله عليه ورعايته له وهو صغير، أفيتركه بعد النبوة والسؤال؟ فلقد أجاب سؤله سابقاً ولاحقاً ليكون على ثقة من رعاية الله له وهو يبلغ دعوته ثم قال له: (اذهب إلى فرعون)

برسالاتي وآياتي فإنه قد طغى وكفر وتجبر، وأمره باللين والرفق في خطاب فرعون ودعوته، واللين أدعى لتخفيف حدة الخصومة وإتاحة الفرصة لفرعون حتى يتفهم قصد موسى عليه السلام ورسالته،وقيل:أمره بالملاينة لأن فرعون أحسن إلى موسى عليه السلام فأحب الله مكافأته إلا أن موسى عليه السلام خاف من فرعون أن يعجل له العقوبة قبل أن يبلغ رسالة ربه، ولعل موسى عليه السلام كان يريد مزيداً من التأييد الرباني في الموقف العصيب فقال الله له:(إنني معكما أسمع وأرى) فلا تخافا. وهذا من كمال رعاية الله ولطفه بموسى وأخيه عليهما السلام ولقد عَلّمَ الله موسى عليه السلام ماذا يقول وانطوى ذلك في:

٦. (إنا رسولا ربك)، نحن رسل من عند ربك فقد عَرّفَاه بنفسهما ثم بيّنا الغرض والهدف؛ وهو إرسال بني إسرائيل مع موسى عليه السلام لتأسيس دولة التوحيد وحكم الشريعة، وأَتَيَا بالأدلة

والبراهين والمعجزات (العصا واليد) على صدقهما، ثم فتحا أمامه باب التوبة والعيش بسلام وهناء في ظل هدى الله(والسلام على من اتبع الهدى)، كما حذّراه من عذاب الله إن كذّب؛ لذاأراد فرعون أن يخرج من هذه المحاصرة بالأدلة ؛وخاف على حاشيته أن يتزعزع إيمانها به فراح يسأل موسى عليه السلام:إن كان هناك عذاب لمن لم يتبعك! فما حال الأوائل من البشر الذين كفروا ولم يعذبوا ؟فأجابه موسى عليه السلام أن ذلك غيب وكل أعمال البشر موجودة في اللوح المحفوظ،وليست الكتابة للتوثيق أو لوجود النسيان، فإن ربي لا يضل ولا ينسى،ثم عرض موسى عليه السلام على فرعون وبسرعة آيات الكون؛ لعله يتذكر أو يخشى، وأخذ هذه الآيات من مشاهدات فرعون وبيئته المصرية. فَمَنْ مَهّد الأرض يا فرعون؟ ومن أنزل الأمطار؟ وأنبت الأشجار؟ ومن أمرنا أن نأكل من رزقه أليس هو الله ؟ومن خلق هذا الحشد الهائل من الأنعام وسخرها لنا وتكفل بها وبنا(كلوا وارعوا انعامكم) ؛ فالله لطيف بنا وبما يسعدنا، وهذه آيات واضحات يفهمها أصحاب العقول، ثم يعرض عليه موسى عليه السلام مشهد الحياة والموت المتكرر على سطح هذه الأرض:(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)، هذا المشهد لا يستطيع أن ينكره فرعون، وإن أنكر مشهد تحول العصا الميته

إلى حية تسعى **واعتبرها** سحراً فهل كل ما على الأرض من حياة وموت هو سحر؟ ولكنّ هذه الآيات ما زادت فرعون إلا تكذيباً وتكبراً على الحقيقة وعلى رسل الله حيث اتهم موسى عليه السلام بالسحر وهدده بأنه سيأتي بسحر مثله، وأنه سيقارع سحر موسى عليه السلام بسحر فرعون، وكان هدفه من وراء ذلك إبطال دعوى موسى عليه السلام وحججه وآياته والأدلة والبراهين على قدرة الرب ولطفه ورحمته بالبشر، وحتى لا تميل حاشية فرعون إلى تصديق موسى عليه السلام،لذا تابع قضية اتهام حقائق موسى عليه السلام بأنها سحر؛ ولذا جمع كيده وسحرته وكل الحيل ليتحدى موسى عليه السلام وطلب من موسى عليه السلام تحديد موعد المباراة، فحدد موسى عليه السلام الزمان وهو يوم الزينة وحدد بدايته وهو الضحى ولقد أجاد سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أجاد في اختيار وقت الضحى حيث ينشط الناس للخروج، كما أجاد اختيار يوم الزينة يوم العيد حيث يتفرغ الناس في هذا اليوم لرؤية الحقائق وليحصل على أكبر حشد من الناس، ولما أتم فرعون حشده من السحرة وقف موسى عليه السلام منذراً لهم بترك الكذب والإفتراء على الله،وأثرت هذه العظة بهم؛ فخلخلت صفوفهم وأسروا النجوى ووصلوا إلى إقرار أن موسى وهارون عليهما السلام ساحران غرضهما

إخراج أهل مصر من مصر وتقويض المُلْكْ، وإثارة الفوضى، والقضاء على العيشة الهنية التي يتمتعون بها في ظل فرعون (على حد زعمهم)، وكذا بالغ فرعون في حشد السحرة وأتى بهم صفوفاً صفوفاً لإظهار العظمة والكثرة لتبدأ بعد ذلك المبارزة.

الأسئلة الختامية

١. الله يعلم أن فرعون لن يتذكر ولن يخشى. فما الحكمة في إرسال موسى عليه السلام إليه؟

٢. أرسل الله أحب خلقه في ذلك الحين إلى أبغض خلقه ومع ذلك أمره باللين في القول، فلم؟

٣. ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة. اشرح ذلك؟

٤. لم أغلظ موسى لفرعون القول ؟ وهل يجوز ذلك؟

٥. ماذا تجد في شدة القول فيما يلي: (أرسل – لا تعذبهم – إنا رسولا ربك)؟

٦. حاول فرعون الهروب من الحجج والأدلة. أوضح ذلك؟

٧. ما الأدلة والآيات التي عرضها موسى على فرعون؟

٨. بسحر مثله (تعني نوع السحر وليس قوته). أوضح ذلك؟

٩. الكلمة الصادقة والعظة فعلت في نفوس السحرة ما فعلت. أوضح ذلك؟

١٠. لقد كانوا سحرة ثم غدوا شهداء بررة. أوضح ذلك مبيناً سر خوف موسى عليه السلام؟

١١. العظة تنفع، وإن الله لا يأبه بأعدائه، وإنما يرسل رسله لإنقاذ أوليائه. ناقش هذا القول؟

١٢. الحكمة والموعظة الحسنة هدفها إنقاذ من عنده إستعداد للإيمان من بين أنياب الكفرة، فلقد استخلص موسى عليه السلام في دعوته الكثير من قوم فرعون (السحرة – امرأة فرعون – مؤمن آل فرعون – ماشطة بنت فرعون) أوضح ذلك بالتفصيل؟

كيف نطبق هذه الآيات في واقعنا؟

١. اللين شعار الدعوة إلى الله.

- على المسلم أن يستعد روحياً ومادياً ولا يغفل عن الأخذ بالأسباب وإعداد الأدلة والبراهين لملاقاة أعداء الله ومقارعتهم بالحجة البينة

واللين والرفق كما فعل موسى عليه السلام أولاً (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى)، فالرفق ما دخل في شيء إلا زانه وما خرج من شيء إلا شانه، وثمة من يخلط بين مرحلة الدعوة والإمهال ومرحلة العظة والإنذار ومابعدهما فلكل حادث حديث ولكل مقام مقال.

- الرفق يستخرج الضغينة، ويهدئ البال، ويستل الأحقاد من نفوس الخصوم أو على الأقل من يحيط بهم، كما أن الرفق يتيح مجالاً للمدعو أن يفكر في الدعوة، والله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم:(ادفع بالتي هي أحسن)،(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وهذا واجب في مرحلة الدعوة.

٢. المكافأة والإحسان :فمن أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، قال تعالى: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان).

- لقد سادت المادية مجتمعاتنا الإسلامية وانعدم فيها الإحسان إلا ما كان لجلب مصلحة أو لدعاية أو لدنيا، وعلينا أن نرد الإحسان بأحسن منه، هذه تعاليم الإسلام،فعلينا أن نطبق هذا المبدأ في حياتنا الأسرية والأممية، ونظرا لأن موسى عليه السلام تربى في حجر فرعون وقصره ولم يَرُد موسى عليه السلام له هذا الإحسان بأحسن منه؛ لذافقد أمره الله وفاءً ورداً للجميل بأن يكلم فرعون بلين ورقة، وهذا رفق الله بمن قال أنا ربكم الأعلى فكيف رفقه بالمؤمن الذي يقول أنت ربي الأعلى؟!.

- لقد أطلق الرسول صلى الله عليه وسلم سفانة بنت حاتم الطائي من الأسر لأن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ولم ينس الرسول صلى الله عليه وسلم إحسان بعض المشركين للمسلمين فأمر بحقن دماء بعضهم ردًا للجميل وأملا بإسلامهم.

٣. المؤمن لا يخاف وكيف يخاف من كان الله معه يسمع ويرى؟!.

٤. مواجهة الطغاة و إعلان التوحيد وتحرير العباد من طغيان الطغاة.من واجبات الأنبياءوالدعاة إلى الله.

٥. رفق الله واضح بالكافر ورفقه بمن ُيؤذى من أجله أشد وضوحا، لذا كان من مهام موسى عليه السلام استخراج الفئة المؤمنة من براثن الطاغية فرعون.

٦. للحوار آداب يجب أن يتخلق بها المتحاورون، وكلما اتسم المحاور بالرفق واللين والوضوح سار نحو طريق النجاح.

٧. مخاطبة الأكابر تختلف عن غيرها، فخطاب موسى عليه السلام لفرعون يختلف عن غيره، لأن الأكابر إذا عُنّفوا وأُغلظ عليهم ثاروا وحقدوا ودمروا.

والرسول صلى الله عليه وسلم خاطب هرقل الروم بقوله: من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلين الكلام لمن يخاطبه من المشركين، وكان يولم لهم تطييباً لقلوبهم وأملاً بإسلامهم، وهناك من يخلط بين مخاطبة الأكابر

والذل، فيظن أن اللين في مخاطبتهم ذلاً وهذا يخالف الواقع، فأنا ألين لأصل إلى هدفي دون أن أذلّ نفسي، وأيضاً دون أن أجعل لنفسي حظاً في الثأر في مرحلة الدعوة والمهلة.

٨. معية الله لعباده الصالحين (إن الله معنا) – (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ)غافر ٥١، معية الله فَلَقَت البحر لموسى عليه السلام، وأطفات النار التي أوقدت لحرق إبراهيم عليه السلام، وأنقذت الرسول صلى الله عليه وسلم من حصار الغار، كما فدت إسماعيل عليه السلام وهو يعرض على الذبح بكبش عظيم، ومعية الله للمؤمن لا تخذله أبداً. قال الإمام البخاري: حدثنا إسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم

فقال رجل منهم: اللَّهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالاً (أي: لا أقدم في الشرب قبلهما أحداً)، فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فجلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق

الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي (أي يصيحون من الجوع)، فاستيقظا فشربا غبوقهما.

اللَّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.

فقال الآخر: اللَّهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليَّ، وفي رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها فامتنعت، حتى ألمت بها سنة من السنين فجائتني فاعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى أذا قدرت عليها وفي رواية فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفضن الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليَّ وتركت الذهب الذي أعطيتها.

اللَّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج.

وقال الثالث: اللَّهم إني استأجرت أُجراء وأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبدَ الله أدِّ إليّ أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبدَ الله لا تستهزئ بي ! فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستقاه فلم يترك منه شيئاً.

اللَّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون.

صحيح البخاري (٤١٥/١٠)، صحيح مسلم (١٩٨٢/٤).

وتاريخ فتوحات المؤمنين شاهدة على ذلك.

٩. على الناس أن يساهموا بدفع الذلّ عن أنفسهم بأنفسهم، ويوم كان قوم موسى عليه السلام أذلاء تحت سلطة فرعون ما عبأ الله بهم، ويوم آمنوا وصفت قلوبهم لله أرسل نبيه موسى عله السلام لاستنقاذهم.

١٠. لابد من التمكين قبل التكليف، فقبل تكليف أبنائنا أو من نعول ونرعى علينا أن نُمَكِنهم من فهم الموضوع، ونوضحه لهم بدايةً ونهايةً ونزودهم بالوسائل والتجارب والخبرات.

١١. (والسلام على من اتبع الهدى) وهذه الآية عودة على مطلع السورة إذ يقول الله جل وعلا: (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) وهكذا يجب أن نعمق في وجداننا ولدى غيرنا أن الهناء والسعادة والسلام في ظل الإسلام، يقيناً في نفوسنا وعملاً في حياتنا.

١٢. العظة الصادقة المخلصة تزرع الخوف في نفوس المتكبرين وتنساب في رقة إلى بعض القلوب، كما انسابت عظة موسى عليه

السلام إلى السحرة ففرقتهم في البداية، وأدخلتهم في الإسلام في النهاية حيث أعلنوا (آمنا برب هارون وموسى).

١٣. عدم الإستعجال في الحكم على الكفار وهم في فترة الدعوة والمهلة، فالسحرة كانوا صباحاً سحرة ومكرة ومساءً غدوا شهداء بررة.

١٤. المؤمن كيس فطن حذر ذكي لبق ينظر بنور الله،ويجعل مبتغاه رضى الله ولذا أجاد سيدنا موسى عليه السلام في اختيار اليوم المناسب والمكان المناسب لإظهار دعوته.

١٥. كلما سما المؤمن بقلبه إلى الله وأخلص له ازداد صبرا على الإفتراءات والإتهامات حتى يحكم الله، والله خير الحاكمين،وعندهايحتسب كل ما يلقاه في سبيل الله من عذاب عذباً.

المقطع السادس: التفسير من آية ٦٥ ـ ٧٦:

العنوان: بدء المعركة بين حق موسى وسحر فرعون.

قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟
كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

شرح المفردات:

- **يخيل:** يظن الناظر أن العصا والحبال تتحرك من تلقاء نفسها وذلك بعد أن أودعوها من الزئبق ما يحركها ويجعلها تضطرب.
- **فأوجس:** أضمر واستشعر الخوف وقيل خاف خوفاً بشرياً، وقيل خاف أن يفتن الناس بسحر فرعون قبل أن يلقي موسى عليه السلام عصاه وتتضح لهم الحقائق.
- **كيد ساحر:** حيلة ساحر لا أصل ولا حقيقة لها.
- **تلقف:** تبتلع ما جاؤوا به من السحر، فأين ذهبت حبال السحر وعصيهم بعد أن عادت حية موسى عليه السلام إلى عصا؟.
- **لا يفلح الساحر:** لا يفوز ولاينجح ولا يصل إلى مبتغاه.
- **لكبيركم:** أي معلمكم، ولذا غلبكم وقال فرعون ذلك ليشوه على الناس الحقائق حتى لا يؤمنوا، وقد علم فرعون أن السحرة لم يتعلموا السحر من موسى عليه السلام وأنهم قد أتقنوه قبل أن يولد موسى عليه السلام.
- **من خلف:** أي يخالف من الأعضاء فيقطع يداً يمنى ورجلاً يسرى.
- **ولأصلبنكم:** لأمثلن بكم ولأشهرنكم ، فكان فرعون أول من فعل ذلك.
- **لن نؤثرك:** لن نختارك.

- **البينات:** اليقين والعلم قال عكرمة (لما سجدوا أراهم الله منازلهم في الجنة فلهذا قالوا: (لن نؤثرك)).
- **فطرنا:** خَلَقَنَا أي أنشأنا من العدم.
- **تزكى:** طهر نفسه من الشرك والدنس،وعبد الله لا شريك له واتبع المرسلين.
- **أكرهتنا:** علمهم السحر وأكرههم عليه في الصغر وعملوا به في الكبر مختارين، قال ابن عباس: أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء.
- **خيفة:** أي خوف فكري لم يظهر أثره على موسى عليه السلام فقد خاف أن يكون الله أراد أن يعطي مهلة للسحرة حتى يستدرجهم وقيل إن موسى خاف لما أبطأ عليه الأمر بإلقاء العصا.
- **اقض ما أنت قاض:** افعل ما شئت.

الأسئلة التمهيدية:

١. بدت مظاهر الأدب عند السحرة منذ البداية وكانت هذه فاتحة لإيمانهم. أين تجد ذلك؟

٢. لماذا فضل موسى عليه السلام ابتداء السحرة بالمباراة؟

٣. لماذا خاف موسى عليه السلام؟

٤. (إنك أنت الأعلى) ما معنى ذلك وما أثرها فيما يُقْدِم عليه موسى عليه السلام؟

٥. أين ذهبت الحبال والعصي؟

٦. تظاهر فرعون بأن غضبه كان لعدم استئذان السحرة منه في إعلان إيمانهم. فما رأيك؟ ولم؟

٧. من آداب المناظرة إعطاء الحرية للجمهور في الحكم، وقد تقيد فرعون بذلك ولكنه نحا منحى خطيراً بعد ذلك. أوضح ذلك؟

٨. هل كان موسى عليه السلام فعلاً كبير السحرة كما زعم فرعون؟

٩. الطغاة يجابهون الكلمة الصادقة والحجة الواضحة بالإرهاب والوحشية. ناقش ذلك على ضوء الآيات قديماً وحديثاً؟

١٠. المؤمنون يجابهون إرهاب الطغاة بالصبر والثقة بنصر الله والتحدي أيضاً. أوضح ذلك؟

١١. إن الله لا يغار لذاته ولكنه يغار لأوليائه وفي الحديث الشريف ((من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)) ناقش ذلك؟

١٢. هددهم بعذاب الدنيا فعرضا عليه صورة المجرم في الآخرة. اشرح ذلك؟

١٣. ما للمؤمن وما للمجرم في الآخرة؟. أشر إلى الآيات التي توضح ذلك؟

١٤. ما جزاء من تزكى؟

١٥. الإيمان يجب أن يقترن بالعمل. أشر إلى الآية التي توضح ذلك؟

تفسير الآيات من ٦٥ ـ ٧٦:

٦٥. (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى):

تأدب السحرة مع موسى عليه السلام فخيروه بين أن يكون الأول في بدء المباراة،أو يكونوا هم أول من يلقي بعصيهم وحبالها.

وقيل (إن أدبهم هذا كان سبب إيمانهم) القرطبي.

وقيل إنما خيروه بأن يكون البادئ بإلقاء عصاه نظراً لثقتهم بأنفسهم وعدم اكتراثهم بقوة موسى عليه السلام (وسحره) كما زعموا ورغبتهم في إظهار التحدي.

٦٦. (قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى):

لما تأدبوا معه وخيروه في البدء قدمهم على نفسه معاملة بالمثل وقبولاً للتحدي، واستفراغاً لطاقاتهم في البداية لتكون له الغلبة أخيراً.

ولما بدأوا بالالقاء فوجئ الناس بحشد هائل من الحبال والعصي تسعى في الميدان؛ فخيل إلى موسى عليه السلام من شدة سحرهم وضخامته أنها أفاعي تسعى، فقد لطخوا العصي والحبال بالزئبق فاهتزت وتحركت عندما أصابها حر الشمس فبدت كالأفاعي.

٦٧. (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى):

فأوجس في نفسه خيفة موسى وخاف أن يفتن الناس بهذا السحر قبل أن يلقي عصاه، وقيل إنه أحس بالخوف البشري دون أن يظهر ذلك على ملامحه. وقيل أنه خاف من أن يكون في حالته وحقيقته عند الله في حالة أخرى خلافها، فعلم الله مافي قلبه فأوحى إليه.

- وقيل فأوجس خيفة: خاف من أن يفتن الناس قبل أن يلقي عصاه، خاف خوفا بشرياً.

٦٨. (قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأعْلَى):

أي الغالب لهم في الدنيا والآخرة حيث الجنة والدرجات العلى.

الآيات: من آية ٦٩ – ٧٣ موضوعها حوار الابطال وتحدي الموت (ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى).

٦٩. (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى):

أي لا تبالي بسحرهم وألق عصاك فإنها ستبطل سحرهم، وستبتلع وتلتقم ما صنعوه إنما صنعوا سحراً لا حقيقة له، وإن الساحر لا يفوز ولا ينجح حيث أتى من الأرض وحيث احتال. وانتهت المباراة بفوز موسى عليه السلام واندحار السحرة وإيمان السحرة وإنما قال (مافي يمينك) ولم يقل (عصاك)، إما تصغيراً فهي مجرد عود صغير ولكنها

بقدرة الله ستبتلع كل حبالهم وعصيهم وأما لتعظيم مافي يمينك أي لا تحفل بسحرهم فإن مافي يمينك أعظم منها وأقوى.

٧٠. (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى):

رأى السحرة عجباً في العصا فقد ابتلعت كل ما احتالوا به من الحبال والعصي ثم عادت عصا، فأين ذهبت حبالهم وعصيهم؟

وهكذا أذعن السحرة للحق وسجدوا لله وأعلنوها – وقد خالط الإيمان شغاف قلوبهم – صريحة واضحة مجلجلة غير آبهين بسلطان الطغاة.

إن مفاجأة عصا موسى عليه السلام التي لقفت كل ما صنعوا جعلت السحرة يخرون سجداً لا يتكلمون، وهكذا فإن انتصار الحق على الباطل في عالم الواقع لا يتحقق إلا بعد تحقق انتصار الإيمان في القلوب والأعمال أما إذا بقي الحق مظهراً فقط لا حقيقة له في القلب أو مجرد شعار لا ينبع من الضمير فإن أهل الباطل ينتصرون.

والسورة كلها معرض للانتصارات الإيمانية لأنها ترصد لنا معركة الحق مع الطغيان وهي هنا معركة غير متكافئة في العَدَد والعُدَد ولكن استكمال قوة الإيمان في نفوس المؤمنين كانت أقوى عدة فالإيمان سلاح ماض لا يقاوم ولا يثبت أمامه شيء، من أجل ذلك تولت القدرة الإلهية رفع راية الحق بلا جهد عسكري من أهل الحق، فالمؤمنون ليس لهم عدة فرعون ولا طاقة لهم به ،ولكن القدرة الإلهية تولت الدفاع عن المؤمنين.

ومتى ترقب المؤمنون النصر من عند الله حالة كونهم لا يملكون إلا الإيمان القوي وكونهم أقل عَدَدَاً وعُدَدَاً ،بينما يملك أعداؤهم الطغاة العَدَد والعُدَد والمال فإن النصر سيكون للمؤمنين. (من في ظلال القرآن لسيد قطب).

٧١. (قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى):

قال فرعون كيف تؤمنون به ولم أسمح لكم بذلك ولم آمركم به إنه معلمكم ورئيسكم في السحر ولذا غلبكم وتخاذلتم له وإنما أراد فرعون هذا الإنكار عليهم لأنهم لم يستأذنوه ليحول أنظار الجمهور عن تصديق موسى عليه السلام ورسالته. إذ أن المناظرة تستدعي احترام المتفرجين وآراء الناس وأحكامهم لذا رغم وضوح صدق موسى عليه السلام للجمهور إلا أن فرعون ادعى أن السحرة لم يستأذنوه بذلك،وأنه لم يأمرهم بذلك ولذا توعدهم وهددهم بالعذاب الأليم ،وهم الذين استنصر بهم على موسى عليه السلام، واتهم سيدنا موسى عليه السلام بأنه كبيرهم ومعلمهم، وقيل أراد فرعون أن يقول أن موسى عليه السلام أسحرهم، وأراد بذلك ادخال الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا، وقد علم فرعون أنهم لم يتعلموا من موسى عليه السلام، ولا كان رئيساً لهم وأنهم قد علموا بالسحر وتعلموه قبل ولادة موسى عليه

السلام، ولكنه الإفتراء والتكذيب والتشويه وهذا سبيل الطغاة عندما يعجزون عن مواجهة أهل الحق.

ولم يكتف فرعون بتوزيع الإتهامات حتى لجأ إلى إرهاب المؤمنين والتنكيل بهم،وهذا ديدن الطغاة في كل زمان ومكان، وإلا ماذا عمل السحرة الذين آمنوا؟ هل رفعوا السلاح في وجه الطاغي؟، هل أثاروا الشغب في البلاد؟ هل دمروا؟ هل أفسدوا؟ كل ذلك لم يكن، ولكن الطغاة وكبيرهم فرعون مصر لا يروق لهم أن تأخذ الشعوب حريتها،اوان تنطق ببنت شفه..

- **(لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف)** وهكذا لا يكتفي بقطع اليد بل ليقطعهم عن أي عمل، ولا بقطع الرجل حتى يقطعهم عن أية حركة نحو الحق، بل ومن خلاف،وتلك قمة في الإجرام،حيث يشل كل طاقاتهم الحياتية،وهم بالأمس يا فرعون كانوا خدماً لك، فأيديهم عملت لك فنون السحر، وأرجلهم قطعت من أجلك كل مسافات مصر الشاسعة، أهكذا يكون الوفاء يا فرعون؟ أهكذا يكون جزاؤهم يا فرعون؟ ألمجرد أنهم آمنوا تفعل بهم الأعاجيب؟ وهل اكتفى فرعون بالتمثيل والتشويه وقطع وسائل الحياة ؟لا بل لابد من التشهير والتنكيل بالمؤمنين لأعلقنكم على جذوع النخل، واستخدم (في جذوع)ليدل على استقرارهم على الجذوع ولزمن طويل حتى يكونوا عبرة لغيرهم.و لأرهب غيركم؟ واليوم نجد الطغاة يعلقون صورهم في كل مكان يذكرون شعوبهم بفعلة فرعون، ولكن الآن لا توجد جذوع النخل

وإنما توجد المشانق وفنون التعذيب الوحشي في كثيرمما يسمى دوائر الأمن، وأي أمن هذا؟ بل وأي ظلم هذا؟ من هنا نجد تشابه الطغاة وتشابه وسائلهم على مر العصور، ثم الافتخار بملكهم بشدة بطشه وجبروته وعذابه، ففرعون يفعل الأفاعيل بهم لينكل من خلفهم، وليرهبهم ويرهب كل من تسول له نفسه قول الحق، لا بل حتى الاعتقاد به، ولذا توعدهم وتهددهم قائلاً ستعلمون من هو أشد عذاباً وأطول وأدوم أنا (فرعون مصر) أم رب موسى عليه السلام؟ وهكذا استمرالطاغية في تحد لرب موسى عليه السلام،وهذا ما يعرفه المؤمنون على مر العصور من الطغاة الذين يتحدون الرب في أقبيتهم وسجونهم ونظمهم ودساتيرهم.

فماذا كان رد الخُلص من المؤمنين؟ إنهم لم يرتعدوا ولم تخفق قلوبهم من شدة الخوف هلعاً، وخاصة إن الموت أمامهم فماذا قالوا؟

٧٢.(قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا):

أقسموا بخالقهم أنهم لن يرضخوا للتهديد ولن يفضلوا الحياة الدنيا على الآخرة ولن يختاروا فرعون ويتبعوه ويفضلوه على البينات الربانية الواضحات من عند الله كالعصا واليد، وقيل في البينات (اليقين والعلم كما قاله ابن عباس، وقال عكرمة لما سجدوا أراهم الله منازلهم في الجنة فلهذا قالوا (لن نؤثرك) وقالت امرأة فرعون بعد أن علمت

بانتصار موسى عليه السلام (آمنت برب هارون وموسى فأمر فرعون بإلقاء صخرة عليها فرفعت بصرها إلى السماء فأبصرت منزلها في الجنة وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه). تفسير القرطبي.

وقيل (والذي فطرنا) عطف على (جاءنا) أي لن نؤثرك على البينات ولا على خالقنا. هكذا لخصوا موقفهم أمام إرهاب الطاغية فرعون ثم تابعوا تعالي الإيمان وسموه قائلين: (فاقض ما أنت قاض) افعل ما بدا لك، تحد صريح وسريع وشامل: كل ما تستطيع أن تفعله فافعله لا تدخر جهداً في ذلك.

الله أكبر! فأي تحد هذا وأي سمو هذا؟ وهنا يتصاغر الحقراء والطغاة، ويتعالى المؤمنون بإيمانهم موضحين له حقائق الأشياء (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) إنها الحياة الدنيا فاحكم ما أنت حاكم فإنما حكمك منحصر في هذه الحياة ولا سلطان لك علينا بعدها.

٧٣. (إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى):

من قبل كنا سحرة وخدماً لجبروتك، والآن أصبحنا أعزة (إنا آمنا بربنا) هكذا يعلنون إيمانهم بكل التوكيد والتعظيم للخالق الرب،

ولماذا آمنا؟ (ليغفرلنا خطايانا). هذا هو الإحساس الصادق إن لدينا خطايا أعظمها الشرك،ولقد آمنا الآن ليغفر الله لنا هذا الماضي الأسود

من الشرك والضلال، إنهم رأوا النور فتخلوا عن أيام الظلام. (وما أكرهتنا عليه من السحر).

كنا صغاراً فأكرهتنا على تعلم السحر؛ فعملنا به كباراً، وهذا من خطايانا علّ الله يغفرها لنا. (والله خير وأبقى) أي إن الله خير منك ثواباً، وعقابه أبقى وأدوم من عقابك إن عصيناه،ثم قال السحرة لما آمنوا:

٧٤. (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا):
وقيل إن هذه الآية ابتداء كلام من الله عزوجل، أي أن الكافر إذا جاء ربه يوم القيامة فإن له نار جهنم، فهو لا ينتفع بحياته فيها ولا يموت فيستريح منها.
وأخرج أحمد ومسلم.... عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فأتى على هذه الآية (إنه من يات ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) فقال: أما أهلها الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، وأما الذين هم ليسوا بأهلها فإن النار تميتهم إماتة، ثم يقوم الشفعاء فيشفعون...).

٧٥. (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلا):

وعدهم فرعون بالعقاب إن آمنوا، ووعدهم الله بالثواب، فإنه من يأت ربه موحداً مؤمناً قد جمع بين الإيمان والعمل الصالح؛ فإن له المنازل السامية في الجنة في الفردوس الأعلى. وكما جاء في الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت (..... إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس) رواه الترمذي.

٧٦. (جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى):

وهذه الجنان دائمة الجمال ولا يخرج أصحابها منها، جنان تتدفق الأنهار منها مزيداً من الجمال والخصوبة وهذا كله جزاء لمن طهر نفسه من الشرك والمعاصي واتبع المرسلين وعمل الصالحات.

وهكذا ينتصر الإيمان في قلوب السحرة على تهديد وإرهاب فرعون، كما انتصرت العصا على السحر، وهكذا ينتصر الإيمان دائماً في كل زمان ومكان وإن قلت العدة والعدد في يد المؤمنين فإن الله معهم، وإن الانتصار على إرهاب الطغيان يجب أن يسبقه انتصار الإيمان في قلوب المؤمنين، إن قوة الحق أقوى من أية قوة مادية.

مجمل التفسير:

تأدب السحرة مع موسى عليه السلام وتلطفوا بندائه وخيروه بين أن يكون أول من يلقي عصاه أو أن يكونوا هم،ومع التأدب ربما يوحي هذا الخيار بثقتهم بأنفسهم وحرصهم على إظهار عدم المبالاة بما جاء به موسى عليه السلام.

إلا أن موسى رَدّ الأدب بأوفى منه مضرباً عن نواياهم أياً كانت قائلاً: (بل ألقوا)، وفجأة تتحول حبال السحرة وعصيهم كما يخيل للناظر وكأنها حيات تسعى؛ فأوجس وأحس وأضمر موسى عليه السلام في نفسه الخوف ولم يظهر أثره وإلا لو ظهر لكان هذا فاضحاً لموسى عليه السلام، وهذا الخوف هو الخوف الذي يلازم الفطرة البشرية، وقيل: إن موسى عليه السلام خاف من أن يفتن الناس بسحر السحرة فلا يؤمنوا بما جاء به من الحق وخاصة إذا طال سحرهم، وقيل إن موسى عليه السلام خاف من أن يكون هذا استدراجاً للسحرة أو فتنةً له؛ فجاءه التقرير الرباني ينزع عنه الخوف ويبعث فيه الطمأنينة،لا تخف يا موسى فإنك أنت الأعلى في الدنيا، فسيبطل الله سحرهم وتنتصر عليهم فأنت الأعلى في الدنيا، ولك المقام العالي في الآخرة.

- وجاءه الأمر(ألق مافي يمينك) ولم يقل له ألق يا موسى (عصاك)، وهذا إما تصغيراً لشأن هذا العود في الظاهر، رغم

ذلك فإن هذا العود سيبطل سحرهم، وإما تعظيماً لهذه العصا التي ستلقف حبالهم وعصيهم والله أعلم بمراده.

- فألقى موسى عليه السلام عصاه وبدت تلقف وتبتلع تلك الحبال والعصي في مشهد غريب عجيب معجز حيث أبطل الله حيل السحرة وكيدهم، والساحر لا يفلح ولا ينجح في كل زمان ومكان ولا مجال للسحر أمام حقائق الإيمان.
- ألقى موسى عليه السلام عصاه وبطل السحر، فخر السحرة مذعنين للحق، وسجدوا لله شكراً على أن عرفهم حقائق الإيمان وقالوا قولاً واحداً:آمنا برب موسى وهارون فأذعنت جوارحهم لله فخروا سجدا، كما لهجت ألسنتهم بالتوحيد، وهذا حال المؤمن؛ جوارحه كلها تشهد بتوحيد الله، جوارحه تذعن لله في كل تصرفاتها، وبذلك يعبر لسانه.
- لقدهال فرعون المشهد؛ فقد تبين زيف كيده وسحره لمن كانوا آلته ومناصروه، وهاله هذا السخط لأنه رضي بالمناظرة والمباراة، وثبتت خسارته أمام الجمهور وأمام السحرةأنفسهم،فأراد أن يصرف القضية إلى موضوع الاستئذان،أي أنهم يجب أن يستأذنوه فيما يعتقدونه وفيما يفكرون، وهم**إذ لم يفعلواذلك فقد تمردوا،وإذا** تمردوا ولوفي الفكر فعليهم انُيقَتلوا طبقا لمبادئ الفراعنة في كل زمان ومكان،وطبقالنص الدستور (لا أريكم إلا ما أرى) وهكذا

هددالطاغي وتوعد وأرهب المؤمنين بقطع الأيدي والأرجل ثم بالصلب على جذوع النخل، ولكن هذا الإرهاب مازاد المؤمنين إلا تعالياً، فبم تهددنا يا فرعون؟ أَبِحِرْماننا من هذه الدنيا ونعيمها؟ إفعل ما بدا لك فسلطانك في هذه الأرض فقط، ولن نفضلك على ما وعدنا الله به في الآخرة حيث أن المجرم يأتي ربه ليس له عند الله إلا نار جهنم خالداً فيها، فلا هو يموت فيستريح ولا هو يحيا حياة طيبة في جحيم النار، فأي العذاب أكثر وأبقى يا فرعون؟

- أما المؤمن الذي يأتي ربه بقلب سليم وقد عمل الصالحات فمآله الفردوس الأعلى في جنات الخلد حيث النعيم والجمال، حيث الأنهار المتدفقة بالعسل واللبن، فشتان بين ما وعدنا الله به وبين ما تفتخر به يا فرعون في هذه الدنيا من خضرة ونعيم وأنهار (كنهر النيل مثلاً)، ونعيم الجنة هو الجزاء الأوفى لمن يطهر نفسه من دنس الشرك والكفر.

الأسئلة الختامية:

١. للحوار آداب منها اللطف والتأدب مع الخصم. أين تجد ذلك؟
٢. ما تعريف المناظرة ؟ وما غرضها ؟ وما أثر رأي الجمهور في الحكم ؟

٣. لمَ عَدَلَ فرعون عن اتهام موسى عليه السلام في هذا الوقت وإبطال الآيات التي جاء بها إلى اتهام السحرة بأنهم لم يستأذنوه في إعلان إيمانهم؟

٤. لم خاف موسى عليه السلام؟

٥. لم قال الله له: وألق (مافي) يمينك، ولم يقل ألق عصاك؟

٦. القلوب إذا خالط شغافها الإيمان استعصت على الطغاة وفازت عليهم. أوضح ذلك؟

٧. (الإرهاب مقابل الحجة والبيان) هذا شأن الطغاة. ناقش ذلك؟

٨. وازنَ السحرة بين عذابين ونعيمين. ناقش ذلك على ضوء الآيات وبين ماذا رحجوا، ولماذا؟

ماذا نأخذ من الآيات لواقعنا

إرهاب الباطل وثبات الحق:

١. على المسلم أن يكون مستعداً للحوار اللطيف اللين إذا دعي إليه في مرحلة الدعوة. هذا إذا كان الحوار مع أعداء الله،فكيف إذا كان الحوار مع إخوانه أو أصدقائه أليس يجب أن يكون ليناً؟ قال الإمام الشافعي (ما حاورت أحداً إلا تمنيت أن يظهر الحق على يديه)، وانه لمن المؤسف أننا فقدنا لغة الحوار وأهدافه وسماته النبيلة.

٢. على المسلم أن لا يخاف من المناظرة،وأن يتسلح بالحجج والأدلة الملائمة،فعلى الداعي أن يكلم أصحاب العلم بأسلوب علمي منطقي وان يخاطب الناس على قدر عقولهم.
٣. عندما ندعو إلى الله يجب أن نتسلح بالأدلة والبراهين المناسبة لمن نخاطبهم، فموسى عليه السلام خاطب السحرة بما يعجز سحرهم، وكذا عندما نحاور عالماً كيميائياً أو رياضياً نكلمه بلغة الكيمياء والرياضيات التي تثبت وجود الله.
٤. الإيمان أقوى سلاح في العالم يتهاوى أمامه جبروت الطغاة. إن تعميق الإيمان في نفوسنا يجعلنا غير خائفين ولا قلقين من أي سلاح، فالمؤمنون طلاب شهادة لذا قالوا: (اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا)، ولا بد لنا من أن نبحث عن وسائل تقوية الإيما ن واهمها الثقة بالله.
٥. ثق أخي المؤمن أنك ستُنصر إن نصرت ربك، ها هو موسى عليه السلام انتصر على فرعون مصر وجيشه وجبروته فهل بعد ذلك يشك مؤمن في نصر الله له؟.
٦. إن الطغاة في كل زمان ومكان يقارعون حجة المؤمنين وكلامهم الطيب بالإرهاب الوحشي، فلين المؤمنين وأدلتهم الناصعة تجابه بالقتل والصلب والتشريد. فمن هو الإرهابي حقاً؟!!

المقطع السابع: تفسير الآيات من ٧٧ – ٨٢:

الموضوع: الله يأمر موسى باتباع خطة الإنقاذ.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ
قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ

شرح المفردات:

- **أسر:** السرى السير ليلا: أي سر ياموسى ليلا.
- **يبسا:** جافا يابسا.
- **دركا:** لحاقا أي لا يلحقك فرعون ولن يدركك الغرق ياموسى.
- **غشيهم:** أغرقهم وغطاهم – ما غشيهم تهويل أي غشيتهم غاشية صعب وصفها.

- **أضل:** أوقع في الضلال، ترك الاهتداء و منع قومه من الاهتداء وأمر قومه بالكفر فضل عن طريق الصواب والهدى.
- **عبادي:** المؤمنون والاضافة لتشريفهم، فهم عباد الله وليسوا عبيداً لفرعون.
- **أنجينا كم من:** أنقذناكم.
- **واعدناكم:** وعد من جانب الله لمناجاة موسى عليه السلام.
- **جانب الطور:** سفحه.
- **ألا تخاف:** وعد من الله لموسى عليه السلام لأنه الفائز.
- **المن:** حلوى تسقط على أوراق الشجر.
- **السلوى:** طائر السلماني و المن والسلوى نزلا بعد خروجهم من مصر بشهر ونصف وفي الصحراء.
- **لا تطغوا:** لا تسرفوا ولا تتركوا الحلال إلى الحرام ولا تتركوا الشكر لله.
- **فيحل:** ينزل عليكم غضبي.
- **هوى:** سقط وهوى في جهنم.
- **الخشية:** شدة الخوف.
- **المجرم:** الكافر.
- **الطغيان:** أشد الكبر.

الأسئلة التمهيدية:

١. عناية الله بالمؤمنين ما تزال ترسم لهم طريق الخلاص. أوضح ذلك؟

٢. بم توحي لفظة (أَسْرِ)؟ ولم؟

٣. السير مع الخوف والسير بدون خوف. قارن بين نتائج الحالين؟

٤. بعد الإنقاذ جاء التوجيه للتذ كير بالأفضال والنعم. اشرح ذلك مبيناً لماذا يذكر الإنسان بالفضائل؟

٥. الطغيان يستجلب غضب الله. أوضح معنى الطغيان وأهدافه وعاقبته؟

٦. باب التوبة مفتوح ولكن لمن؟

تفسير الآيات من ٧٧ ـ ٨٢:

٧٧. **(وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى):**

انتهت قصة انتصار الحق على الباطل بانتصار الإيمان عند السحرة على فرعون وصبرهم على القتل؛ لتأتي بعدها قصص كثيرة وآيات كثيرة كالدم والضفادع..... ثم لتأتي أخيراً قصة الخروج من مصر وتبتدي بقوله تعالى: (ولقد) لإثارة اهتمام السامعين وشدَّ أذهانهم، ولتقرير حقيقة الإيحاء وللدلالة على رعاية الله الدائمة لموسى عليه السلام وللمؤمنين والإيحاء كان لموسى

عليه السلام ولكن ماذا أوحى الله له (أسر بعبادي). سر بعبادي ليلاً،وقد حدد الله له وقت السير ليكون ذلك أدعى للسرية، وحتى لا تقع خسائر في صفوف المؤمنين نتيجة لحاق فرعون بهم، وهؤلاء المؤمنين هم عباد الله (عبادي) أضافهم لذاته تشريفاً لهم وتعظيماً وتوداً فهم عباده وليسوا عباد فرعون ثم أمره أن يضرب لهم طريقاً في البحر يبساً جافاً لا ماء فيه، وأمره ألا يخاف من إدراك فرعون له، وأن لا يخشى من الغرق.

٧٨. **(فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ):**

فتبعهم فرعون ومعه جنوده فغرقوا، وكأن اليم هنا هو الذي يغشاهم ويغرقهم وكأنه عبد لله يعادي من عادى الله، ولله جنود السموات والأرض وقوله: (ما غشيهم) إيحاء بعظمة الكرب وشدة الأمواج التي أغرقتهم.

٧٩. **(وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى):**

هكذا يفعل الطغاة، يضلون شعوبهم عن سبيل الرشاد والخير والنجاة، فلقد زعم فرعون لقومه متبجحاً أن موسى عليه السلام لن يفلت منه، وخاصة أن البحر أمام موسى عليه السلام، فلما ضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فانفلق اثنا عشر طريقاً لكل سبط منهم طريق معلوم فساروا في الطرق البحرية وأوحى الله إلى أطوار الماء أن

تشبكي فصارت شبكات يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض فكان هذا من أعظم المعجزات، فلما أقبل فرعون ورأى الطرق في البحر، والماء متجمد أوهم جنده أن البحر فعل ذلك لهيبته قائلاً: (ما انفلق البحر إلا لهيبتي فلما دخلوا انطبق البحر عليهم) وقوله تعالى: (وما هدى) تأكيد لإضلال فرعون لقومه. من تفسير القرطبي للآية.

أنى له أن يهديهم وهو المتجبر المتسلط الطاغي الذي حجب الرؤية الصحيحة عن قومه قائلاً: (ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) وهكذا الطغاة يمنعون الناس أن ينظروا للحياة بغير مناظيرهم، ولتعتبر الشعوب التي تتبع الطاغية على مر العصور بهذا المصير الأسود، والشعب المغفل الضال المستسلم لإرادة الطاغية ولرؤيته فلا يخرج عنها قيد أنملة، لتتبصر هذه الشعوب أن مآلها الهلاك والدمار ولها في أتباع فرعون وحاشيته عبرة.

٨٠. (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى):

يذكر الله بني إسرائيل بأفضاله عليهم حتى يلتزموا بالشكر والعمل الصالح، يذكرهم كيف نصرهم على فرعون ونجاهم منه وأغرق فرعون ثم كيف أكرمهم؟ ووعدهم بالمناجاة والحضور للاستماع إلى كلام الله،وهو يلقي الأوامر الشرعية لموسى عليه

السلام،.ويذكرهم أيضاً أن الله قد رعاهم في الصحراء وأنزل عليهم ما لا وجود له من أطايب الطعام في الصحراء حيث المن وهو حلوى تسقط على أوراق الأشجار، وحيث طائر السلوى الذي ينزل إليهم في الصحراء يأخذون منه طعامهم وحلواهم،فالله لم يتركهم بدون طعام أو تحت ضائقة، وهكذا بعد النصر على فرعون كانت الرعاية والحماية (بتوفير أطايب الطعام)، وكان الإكرام بالدعوة لحضور المناجاة بعد تحقيق النصر والخروج من مصر،وهنا جاء دور التكليف.

٨١. (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى):

يحثهم الله على الأكل من الطيبات ويحذرهم من الطغيان فيها بالإسراف والغفلة وعدم الشكر، فلقد كان طعامهم يأتيهم يومياً ولكنهم كانوا يدخرون من طعام اليوم طعاماً لغد ويسرفون في ذلك. يحذرهم الله من الطغيان: فإذا طغيتم يا بني إسرائيل جاءكم ونزل بكم غضبي أي غضب الله وسخطه، ومن ينزل به غضبي فقد هوى في نار جهنم، ولقد رأيتم كيف هوى فرعون الطاغية بعد أن استعلى قائلاً: (أنا ربكم الأعلى) فهوى في النهر وغرق و له في جهنم عذاب أليم.

وهذا انذار وتحذير لكل طاغية على مر العصور وكما قيل:

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

والله يقول في الحديث القدسي: (العظمة إزاري والكبرياء ردائي من نازعني فيهما قصمته ولا أبالي).

٨٢. (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى):

ويفتح الله لهم ولغيرهم باب التوبة، فكل من تاب توبة نصوحة فإن له المغفرة فمن تاب للغفار غفر له، والتوبة لا تصح إلا إذا انبعثت من قلب مؤمن ومع الإيمان لابد من العمل الصالح ثم لابد من أن يستمر التائب في طلب الهداية والمزيد منها.

وهكذا نجد أن التوبة تتطلب:

١. الإحساس بأن الله غفار.

٢. النصح في التوبة.

٣. الإيمان.

٤. العمل الصالح.

٥. طلب المزيد من الهداية والمغفرة.٦- رد المظالم لأهلها.

فإذا صحت التوبة وصح الإيمان وصدق العمل وطلب المزيد من الهداية فإن الله ييسر له الهدى.

الأسئلة التقويمية الختامية:

١. عناية الله بموسى عليه السلام رسمت له طريق النصر. أوضح ذلك؟

٢. عناية الله بموسى رسمت له ولقومه طريق الحفاظ على النصر. أوضح ذلك؟

٣. الطغيان طريق الإنهيار. أيد هذه الفكرة من الماضي والحاضر؟

٤. تولى الله المؤمنين في كل أمورهم حتى في طعامهم. اشرح ذلك؟

٥. لم تكن العدة ولا العدد متكافئين في الصراع بين الإيمان وطغيان فرعون. فلمن كانت الغلبة؟ وكيف؟

٦. عندما يفرض القتال على المؤمنين حيث ثمة لا تكافئ في القوى فإن الله يتولى إدارة الصراع ويحقق النصر. أوضح ذلك؟

٧. إن الايمان هو السلاح الوحيد والماضي في المعركة لمن تفرض عليه المعركة وهو لا يملك المال ولا السلاح ولا الجند. فهل يفلح هذا السلاح وكيف؟

الملخص: الله يتولى نصر الضعفاء المؤمنين.

ـ عناية الله لا تفارق موسى عليه السلام،إذ أوحى له بالسير ليلاً لتحقيق مزيد من السرية وتخفيفاً للخسائر والليل ستار للمؤمنين، ثم أمره أن يتخذ طريق البحر حيث ستنفلق له طرق يابسة ثم يبعث سبحانه الطمأنينة في نفس موسى عليه السلام حتى لا يخاف من أن يلحق به فرعون أو أن يغرق، أما فرعون فقد أضل قومه وما هداهم حيث أخزاهم الله وأغرقهم في اليم، ونجى موسى عليه السلام وقومه وأكرمهم بموعد جانب الطور ليستمعوا إلى كلام الرب وهو يملي على موسى عليه السلام أحكام الشريعة، ويكرمهم الله ويتعهد إطعامهم في الصحراء القاحلة حيث ينزل عليهم المن والسلوى حلوى ولحم طير شهي، وأمرهم الله أن لا يسرفوا في ملذات الدنيا ولا يتجهوا إلى كفران النعم والطغيان،فإن مصير الطغيان الهلاك والدمار.

هذاوإن النصر الذي أ كرمهم الله به،كما أكرمهم بالرعاية وتعهدهم حتى بالإطعام لمما يجب الحفاظ عليه بالشكر والعمل الصالح، أما أولئك الذين يقعون في المعاصي والأخطاء فإن الله تواب رحيم يفتح لهم باب التوبة النصوحة المنبعثة من الإيمان الصادق والمقرونة بالعمل الصالح والسائرة في طريق الهداية حتى يأتيها اليقين أي حتى الموت.

ما نأخذ من الآيات لواقعنا الحالي:

١. علينا أن نتعلم في حياتنا ومن قرآننا كيفية التخطيط وحسن التدبير وخاصة عندما نلقي العدو أو عندما نتحاشى الصدام معه، والله يعلمنا في الآيات: فالله قادر على تحقيق النصر لموسى عليه السلام بكلمة كن فيكون. فعلام يدل هذا الإيحاء لموسى عليه السلام، وعلام تدل هذه الخطة للنجاة والتي تبدأ باختيار الزمان المناسب، والتغطية المناسبة لخطة الإنسحاب من ميدان المواجهة المادية، فالله لا يريد إراقة الدماء بدون حق كما لا يريد أن يبدأ الصراع المادي قبل أن تستكمل الفئة المؤمنة استعدادها فإذا فرضت المعركة عليها فالله يتولى نصرها ومع ذلك فإن الله يخطط للفئة المؤمنة سبيل النجاة ليمارسوه بأنفسهم:

(سر ليلا - اتخذ طريق البحر - لا تخف من عدوك ولا من البحر الذي أمامك)

وهكذا فالمنسحب يحتاج إلى تغطية روحية لانسحابه حتى لا يتمالكه الخوف والجزع ، وبالتالي القلق الذي يحطم الأعصاب فإذا ما تحطمت الأعصاب استسلمت الجوارح.

وهذا ما لا يريده الله للفئة المؤمنة الناجية بدينها، والهاربة بدينها من طغيان فرعون. الله يبعث الثقة في قلوب العابرين للبحار حيث يتولى البحر بأمر الله إغراق فرعون وجنده. فإلى الذين يمخرون عباب

الجاهلية في عصرنا داعين إلى الله، تحيط بهم المخاطر من كل جانب، ليثقوا أن الله سيفتح لهم السدود التي توجد أمامهم، ويجمد الدم في عروق أعدائهم، ويحطم عدوهم الذي يطاردهم من خلفهم ويسخر لهم سبحانه جنوده جل وعلا، وما أكثرها! فأيها المؤمنون كونوا على ثقة من نصر الله،وقبلها لا بد أن تكونوا مؤمنين وإياكم أن يغركم نصر الله لكم؛ فتبطروا وتسرفوا وتطغوا، فإن الحفاظ على النصر أصعب من تحقيقه، ولقد جاء دوركم فبعد نصر الله لكم لابد أن تنصروا الله في نفوسكم وواقع حياتكم وإياكم والطغيان، إياكم وشهوة التفاخر، إياكم وشهوة الثأر، إياكم ونسيان المنعم المتفضل الذي رعى موسى عليه السلام وفئته المؤمنة وأنجاهم من فرعون وأكرمهم بكلامه وتعهد طعامهم وشرابهم، وأوضح لهم أن الطغيان مآله الخسران، فرغم قلة عدد المؤمنين وعدتهم فإن الله نصرهم على أكبر طاغية في عصرهم والله ينصر من ينصره.

وإذا كان الله أنقذهم من الطاغية فرعون وجنده، فقد حذرهم من أن يتجهوا إلى طريق الطغيان بعد أن أنعم الله عليهم بالنصر، ولكنهم ما أبهوا لهذا التحذير، فما هي إلا شهور حتى قالوا لموسى عليه السلام اتخذ لنا إلها كما لهم آلهة، وما هي إلا قليل حتى طغوا وعبدوا العجل واتخذوه إلها، وتمضي السنون ليصبح هؤلاء من يسمون بقتلة الأنبياء.

إن الطغيان الذي مارسه فرعون عليهم يمارسه أعداء الله على المؤمنين اليوم بل وأشد وأطغى فلقد طغوا في الأرض بل عاثوا في العباد والبلاد فساداً وطغياناً حتى طغوا على العزل في الارض،على الشعب الأعزل من كل سلاح، فراحت طائراتهم وصواريخهم تدمر كل شيء تقتل الأطفال والنساء والرجال في المساجد والمدارس والمخابزوفي المقابرأثناء تشيع الموتى، فما ذنب هؤلاء؟ الذين احتلهم طغيان الاستبداد وحاصرهم في قوتهم وطعامهم وانتهك مقدساتهم وحارب العقيدة في قلوبهم واخرس صوت الحق في مآذنهم وحبس نسمة الهواءعن مرضاهم ، ولكن الله لا تخفى عليه خافية لا تخفا عليه خافية في الأرض ولا في السماء(ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص في الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) سورة إبراهيم آية ٤٢-٤٣. قال تعالى: (ولولا كتاب من الله سبق لكان لزاماً وأجل مسمى) سورة طه أي كان العذاب لزاماً عليهم في الدنيا قبل الآخرة لولا أن الله كتب غير ذلك ولولا وجود الأجل المحدد الغير مسمى لنزل بهم عذاب الله في الدنيا.

كان عليهم أن يأخذوا الدروس من أسلافهم الطغاة، كان عليهم ألا يفسدوا في الارض وأن لايتفاخروا على عباد الله وأن لا يظنوا أنهم أكثر نفيراً فلا يوجد نفير ولا نفرة مع قوة الله وعزته وسينتصر

المؤمنون ، وهذه سنة الله وسيدافع الله عن عباده المؤمنين وإن غدا لناظره لقريب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

المقطع الثامن: تفسير الآيات من ٨٣ ــ ٩٨:

الموضوع: بنو إسرائيل يتنكرون لفضل الله عليهم ويعبدون العجل

الآيات من(٨٣ـ٩٨)

وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ
ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾
فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ

﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ
إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

شرح المفردات:

- **ما أعجلك:** أي لم سبقتهم؟
- **أثري:** أي قادمون: أمرهم قريب مني.
- **فتنا:** اختبرناهم وامتحناهم بالعجل.
- **أضلهم السامري:** دعاهم إلى الضلال وكان من عباد البقر ودخل في دين موسى ظاهراً.
- **أسفا:** شدة الغضب – حزيناً.

- **أوزارا:** آثاما وكانوا أخذوا حلية المصريين كعارية مضمونة مردودة وفي شريعتهم لا تحل لهم الغنائم.
- **بملكنا:** بطاقتنا أي كنا مضطريين.
- **لترضى:** لتزداد رضى عني.
- **فقذفناها:** طرحناها في النار.
- **خوار:** صوت العجل والبقر وقيل خواره كان بالريح لأنه عمل به خروقا، قال السدي كان يخور ويمشي فتنة لهم.
- **فنسي:** أي أن موسى عليه السلام نسي إلهه وراح يبحث عنه وضل عنه، وقيل ان موسى نسي أن يقول لكم أن العجل إلهه.
- **لا يرجع لهم:** لا يكلمهم عندما يكلموه ولا يرد على أسئلتهم إذا سألوه.
- **ضراً:** لا يدفع عنهم ضراً.
- **نفعا:** لا يجلب لهم خيرا.
- **فتنتم به:** أي وقعتم في الفتنة بسب العجل – أي ابتليتم.
- **إنما:** للقصر.
- **لن نبرح:** أي لا نزال.
- **عاكفين:** مستمرين – عابدين للعجل.
- **ترقب:** تنتظر:أي لم تنتظر قدومي.
- **خطبك:** شأنك و أمرك.
- **قبضة:** تكون بجميع الكف، أما القبصة فبأطراف الأصابع.

- **فنبذتها:** طرحتها وألقيتها في العجل.
- **سولت:** زينت أو حدثت.
- **لا مساس:** لا أمس أحداً ولا أحد يمسني، وهكذا نفاه موسى عليه السلام طول حياته.
- **لننسفنه:** لنطيرنّه.
- **اليم:** البحر.
- **وسع:** أي وسع علمه كل شيء (وسع كل شيء علما).
- **ذكرا:** القرآن.
- **أفعصيت:** أي إن مقام هارون مع قومه ،وقد عصوا الله عصيان لأوامر موسى عليه السلام، فلما أقام هارون معهم ولم يبالغ في منعهم نسب إلى العصيان. – راجع القرطبي ص٢٣٧ الأمر بالمعروف.

الأسئلة التمهيدية:

١. سئل موسى عن سبب تعجله فاحتار، وعدل عن التصريح إلى الكناية.أوضح ذلك مبيناً سبب حيرته وعدوله.
٢. لم تعالَّ موسى عليه السلام؟
٣. أين كان قوم موسى عليه السلام؟ وأين كان الخلّص منهم؟
٤. رجع موسى عليه السلام من عند ربه غضبان آسفا. فلم كان غضبان أسفا؟

٥. اكتب الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وقومه بعد عودته من موعده؟

٦. ما المقصود بقوله تعالى: (أوزارا من زينة القوم)؟

٧. مامعنى لا مساس؟

٨. بدأت قصة موسى عليه السلام بإعلان التوحيد وختمت بإعلان التوحيد. أوضح ذلك؟

٩. لم قص الله تعالى حديث موسى عليه السلام لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم؟

التفسير من آية ٨٣ ـ ٩٨:

٨٣. (وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى):

٨٤. (قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى):

جاء موسى إلى ميعاد ربه ومعه سبعون من قومه ليسمعوا كلام الله، أما الباقي فقد تركهم مستخلفا عليهم أخاه هارون عليهما السلام، ولكن الشوق غلبه- ومن ذاق عرف،فقبلها ذاق حلاوة المناجاة والتكليم- فحداه الشوق إلى الإسراع إلى لقاء ربه حتى ينعم بالمزيد من الرضى فقال له الله متلطفا: ماأعجلك؟ فاحتار ولم يجب وإنما عدل عن الجواب فكنى عنه بقوله: (هؤلاء على أثري) فقد سئل عن سبب تعجله، وماكان هذا جوابا لذلك.

ومن أمثلة الشوق إلى لقاء الله، الشوق إلى كلامه،و إلى آثار نعمته فقد كان صلى الله عليه وسلم يتعرض للمطر ويقول: هذا حديث عهد بربي، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها بكل الحب والإجلال تضم المصحف على صدرها. وفي الحديث الشريف عن رب العزة قوله: (طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم أشوق).

وما الكعبة المشرفة إلا رمز لِبَلِّ شوق المحبين إلى ربهم، فهم يتبركون بهذا البيت تعظيما وتشريفا لأنه أضيف إلى المولى الجليل ربهم بقوله تعالى: (وطهر بيتي للطائفين).

٨٥. (قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ):

جاء موسى عليه السلام إلى ميعاد ربه على الجبل وقد واعده ٤٠ يوماً ليستعد لتلقي التكليف بعدأن شرّفه بالنصر على فرعون، فصعد موسى عليه السلام الجبل ليتلقى الألواح والشريعة بعد ان ترك هارون على قومه، فأخبره الله أن قومه قد حلت بهم الفتنة وعبدوا العجل وأضلهم السامري حيث غرر بهم ودعاهم إلى عبادة العجل، وزعم لهم أن هذا إلههم وإله موسى، ولكن موسى نسيّ أن يقول لهم ذلك.

٨٦. (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي):

جاء موسى عليه السلام لميقات ربه،ولتسلم التوراة التي فيها شريعتهم وحياتهم َوشَرفُهُم،ومإن تركهم لأربعين يوماً حتى عبدوا العجل في غيابه، وأخبره الله بذلك، فرجع غضبان على قومه لكفرهم ومتأسفاً لأنه لم يتمكن من مناجاة ربه لفترة أطول.

وهكذا جاء موسى عليه السلام إلى ربه فرجع غضبان لأن قومه قد عبدوا العجل، ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم جاء إلى ربه فنال جائزة الصلة وهي الصلاة وهي القربى فرجع مسروراً. وموسى عليه السلام غاب عن قومه أربعين يوماً فعبدوا العجل ومحمد عليه الصلاة والسلام غاب عن أمته حتى الآن ١٤٣٠ سنة وإن أحداً من أمته لم يعبد غير الله، بل إذا ظهرت بدع قام إليها العلماء والمصلحون وأبطلوها ولله في خلقه شؤون.

رجع موسى عليه السلام إلى قومه غضبان أسفاً، وخاطبهم معاتباً ألم يعدكم الله الجنة والنصر والظفر إن أطعتموني؟، ووعدتكم أن أسمعكم كلامه في التوراة على لساني، وقيل: إنه وعدهم أنه غفار (لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)ثم قال:(أفطال عليكم العهد): أي أنسيتم وعد ربكم لطول العهدوالمدة ؟والتي كانت أربعين يوماً غاب فيها موسى عليه السلام عن قومه.

(أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ)؟ أم أردتم أن ينزل عليكم غضب الله ونقمته نتيجة أفعالكم فأخلفتم موعدي أي نقضتم وعدكم إياي؛ لأنكم وعدتموني أن تبقوا على الطاعة حتى أرجع إليكم، وهكذا ظنوا بنبيهم ظن السوء في خلفه الوعد حسب زعمهم لأنه تأخر بالعودة إليهم، فوعدهم أن يرجع بعد ٣٠ يوماً فما عاد إلا بعد ٤٠ يوماً؛ فزاغوا عن العهود ونقضوها وأشركوا، وهذه عاقبة من ينقض العهد.

٨٧. (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ):

أي لم نكن قاصدين ذلك وإنما حملنا من زينة القبط معنا (أي جواهر وحلي) فصاغ السامري منها العجل فَفُتِنَا به.

وهكذا الحرام يكون شؤماً على أهله، فلقد استعار الإسرائليون الحلي من القبط وهربوا بها، ثم آل إليهم ما كان في أيديهم من الجواهر حيث أن الغنائم وأموال المشركين حرمت عليهم، وهذه السرقة كانت سبباًفي عبادتهم العجل،وهكذا الحرام يكون خطراً على صاحبه، فكانت حلي القبط أوزاراً وآثاماً لهم حملوها طائعين وأبقوها وقذفوها في النار؛ وذلك ليحرقوها ولينتظروا قدوم موسى عليه السلام ليقول لهم ماذا يفعلون بهذه الحلي ؟واعترفوا بأنهم فعلوا ذلك مكرهين فهم تورعوا عن أكل الحرام ووقعوا بعدها في الشرك وهذا ما يسمى

بالورع البارد، وأشبه به ما جاء عن عبد الله بن عمر أنه سأله رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب يعني هل يصلي فيه أم لا؟، فقال ابن عمر رضي الله عنه: انظروا إلى أهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله (يعني الحسين) وهم يسألون عن دم البعوض (ابن كثير ص٢١٩) ومثاله ذلك الذي أبى أن يعزل وهو يزني قائلاً إن العزل مكروه شرعاً فقال له الشيخ جاءك أن العزل مكروه شرعاً ولم تعلم أن الزنا حرام شرعاً.

٨٨. (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ):

بعد أن أنقذهم الله من فرعون مرّوا على قوم لهم أصنام تشبه العجول يعبدونها فقالوا لموسى عليه السلام: (اجعل لنا إلهاً كما لهم آله)؛ فعلم السامري مدى حبهم للعجل فصاغ من حليهم عجلاً،وقبض قبضة من أثر الرسول جبريل، إذ أنه كان يركب فرس الحياة فقذف هذه القبضة مع الذهب وصاغ من الجميع عجلاً له خوار؛ ففتن بنو إسرائيل به وعبدوه، وقال لهم السامري: هذا العجل إلهكم وإله موسى، ولكن موسى ذهب يبحث عن إلهه وإلى ميقاته ونسي موسى نفسه أن إلهه هاهنا.

٨٩. (أَفَلا يَرَوْنَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا):

فلينظر عبدة العجل هؤلاء إلى عجلهم ولينظروا أنه لا يجيبهم على أسئلتهم ولا يكلمهم ولا يجلب له نفعاً، ولا يدفع عنهم ضراً بل لا يدفع الضر عن نفسه، وأكبر دليل على ذلك أنه مادفع الضر عن نفسه يوم حرّقه موسى عليه السلام ثم نسفه في البحر.

٩٠. (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي):

نهاهم هارون عن عبادة العجل وقال لهم مترفقاً: إنما هذا العجل فتنة لكم وامتحان، وما كان له أن يكون رباً فهو لا يدفع ضراً ولا يجلب نفعاً لكم، إنما ربكم الرحمن،و بمثل هذا التأكيد والحصر يتابع موسى نهيه لهم عن اتخاذهم العجل ونصحه وتوضيحه لهم بأن (ربكم الرحمن)، وهنا نلحظ تكرار (إنّ) للتوكيد كما نلحظ كلمة (ربكم) التي توحي بأنه المطعم والمحيي والمميت والحامي لكم، ومع ظلال كلمة(رب) والتي توحي بأنه عز وجل هو الذي رباهم على نعمه، وأنقذهم من فرعون وأكرمهم برسالته، وتعهدهم بالطعام والشراب، وبعد كلمة ربكم تأتي كلمة الرحمن لتلقي على العصاة بل على الكفرة ظلال الرحمة علّهم يؤوبون إلى بارئهم، وهنا نجد مقارنة واضحة بين ما يصف به السامري ربه (هذا إلهكم وإله موسى) ولم يقل ربكم ورب موسى لأن كلمة الرب توحي بأنه الذي يرعانا ويدفع عنا ضرنا وينفعنا ويُجيب سؤالنا، وهذا لايمكن أن يصدقه بنو إسرائيل؛ لأن

الواقع يخالف ذلك، ومع ذلك فقد أشربوا في قلوبهم العجل فما سمعوا إلى نهي هارون وأمره حيث أمرهم بحسن الاتباع لنبيهم وبطاعة أوامره لا أوامر السامري.

٩١. (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى):

وهكذا أصروا إلا قليلاً منهم على عبادة العجل وقالوا: لن نترك عبادته حتى يرجع إلينا موسى، فيقول لنا إن كان هذا العجل إلهنا حقاً أم لا. وعندما أصروا على شركهم اعتزلهم هارون ومعه ١٢٠٠٠ ممن أظهروا الإيمان بالله. أما الباقون فعكفوا على عبادة العجل، فلما رجع موسى عليه السلام إليهم وسمع صياحاً وجلبة ووجدهم يرقصون حول العجل قال للسبعين رجلاً من المؤمنين الذين عادوا معه هذا صوت الفتنة، ثم توجه إلى هارون ولم يتوجه إلى السامري صاحب الفتنة؛ لأنه لم يكن مكلفاً بشريعة موسى عليه السلام، وألقى باللائمة على أخيه هارون عليه السلام لأنه هو المسؤول الأول.

٩٢. (قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا):

٩٣. (أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي):

فأخذ برأس أخيه وبلحيته يقول له: لِمَ لَم تتبعني؟ لِمَ لَم تقاتل عبدة العجل؟ ألا تعلم أني لو كنت هنا لقاتلتهم،ثم لماذا لم تخبرني بما حدث

وتلحق بي؟ لقد امتلأ قلب موسى غضباً لله وثورة على عبدة العجل وألقى الألواح الإلهية وأخذ برأس أخيه يجره إليه.

٩٤. (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي):

فترفق هارون عليه السلام بموسى فذكر له أنه ابن أمه ليثير فيه روح الشفقة والعطف مع أنه شقيقه لأبويه. ثم اعتذر له برفق أيضاً قائلاً: إني خشيت إن اتبعتك لأخبرك بأمرهم أن تقول لي لم تركتهم ولم فرقت بينهم ولِمَ لَم تراع ما أمرتك به عندما جعلتك خليفة عليهم؟.

وهكذا لما ضاق صدر موسى عليه السلام غضباً لله اتسع لسانه غضباً لله.

وهنا أخذ هارون عليه السلام يلاطفه ويداريه ويرفق به، وهذا ما يجب بين الأخوة بل ما يجب بين الأصحاب فخاطبه مستعطفاً مستلطفاً.

وقد يقال إن هارون عليه السلام لو قال لموسى عليه السلام: في الوقت الذي احتجت أن تمضي إلى فرعون قلت (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً)، وقلت: (أرسله معي)، وقلت حين مضيت إلى سماع كلام الحق: (أخلفني في قومي).... فما اكتفيت بأن لم تستصحبني...

وخلفتني! وقد علمت أني بريء الساحة مما فعلوا فأخذت بلحيتي وبرأسي.... ألم ترض بما أنا فيه حتى تزيدني حرياً على حريٍ (الغضب) ؟! لو قال ذلك لكان في موضعه، ولكن لحلمه ولعلمه بأن ذلك كله حكم ربهم، فقد قابل كل شيء بالرضا (من تفسير القشيري). وهنا نجد تأصيلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضرورة مفارقة الأهل وإن المقيم بينهم إذا كان راضياً فحكمه كحكمهم.

٩٥. (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ):

٩٦. (قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي):

وهنا نجدتلويناً في الخطاب مع سيطرة الغضب على موسى عليه السلام، فكلامه مع أخيه يختلف عن خطابه لقومه كما يتباين مع خطابه للسامري رأس الفتنة إذ يقول له: ما الذي دعاك إلى أن تفعل ما تفعل وتأتي بالخطب الجليل وهو دعايتهم لعبادة العجل فقال السامري بكل هدوء وكأنه آمن من غضب موسى عليه السلام وذلك لأنه ليس من قوم موسى فقال: لقد بصرت شيئاً لم يبصره غيري، لقد رأيت جبريل حين جاء لإهلاك فرعون فقبضت بكفي قبضة من أثر فرسه، وقيل لما جاء جبريل ليأخذ موسى عليه السلام لأخذ الألواح قبض تلك القبضة والقبضة تكون بكل الكف والقبصة تكون بأطراف الأصابع.

ثم ألقى تلك القبضة على تلك الحلي المذابة فسبك منها عجلاً له خوار، وكذلك زينت لي نفسي أن أفعل هذا الفعل فاتبعت هواها. ثم بعد ذلك كان هلاكه،وهنا يجب أن ننتبه (إلى أن الرفق أحياناُ لعله يكون في الحقيقة مكراً) فقد ظن السامري أن ما وصل إليه من صناعة العجل إنما هو من رفق الله فيه والتأييدله، والحقيقة أنه كان مكراً.

٩٧. (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا):

أنزل موسى عليه السلام العقوبة بالسامري ومضمونها هو اذهب من ههنا، لا تصاحبنا، عقوبتك أن تقول لا مساس أي لا يكلمك أحد، ولا يخالطك أحد، ولا يقربك أحد من الناس، أي لا تمس الناس ولا يمسونك؛ لأنك مسست شيئاً من أثر الرسول لم يكن لك أن تمسه والجزاء يكون من جنس العمل(لا مساس)، فما مسه أحد أو مسَّ أحداً إلا أصابتهما الحمى (من تفسير القرطبي). ثم هدده موسى عليه السلام قائلاً: وإن لك موعداً يوم القيامة لا تحيد عنه ولا تخلفه ولا تغيب عنه، وانتظر يا سامري، وهنا نجد موقف التحدي للعجل معبودك الذي ولهت بحبه، وأضللت به الذي ظلت عليه عاكفاً وعابداً؛ (لنحرقنّه) قال قتادة: حرقه بالنار ثم ألقى رماده بالبحر.

عن علي رضي الله عنه قال: إن موسى لمّا تعجل إلى ربه، عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلي نساء بني إسرائيل، ثم صوره عجلاً، قال: فعمد موسى إلى العجل، فوضع عليه المبارد، فبرده بها وهو على شط نهر، فلم يشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب، فقالوا لموسى: ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضاً. (من ابن كثير ص ٢٢١-٢٢٢).

(أن تقول لا مساس) هذه آية واضحة في تقرير عقوبة النفي، والنفي أنواع أشده النفي المعنوي،كنفي السامري، و (الثلاثة الذين خُلِّفوا) فقد نفاهم الرسول نفياً معنوياً،وكما في نفي الزاني نفياً مكانياً ومعنوياً.

ولقد طبق موسى عليه السلام على السامري عقوبة النفي؛ لما فيها من محاصرة الشر وقطع جذوره وتبديد صوره و حماية للمجتمع من انتقال عدوى السفهاء والضلال إلى بقية الأفراد، وأيضاً تأديباً للمجرم ومحاصرته نفسياً ومادياً فلا يجرؤ على العودة ثانية لجرائمه.

وعقوبة النفي هذه لها أبعاد اجتماعية وتربوية مهمة وتستخدمها غالب الأمم، فمن ضمن عقوبة الزاني النفي المكاني والمعنوي إذا رأى الحاكم المسلم ذلك. ولقد طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوبة النفي المعنوي، النفسي وهي أشد من الحبس وراء القضبان،وأكثر نفعافي إصلاح المسيء،فقد حبس الرسول صلى الله عليه وسلم الثلاثة الذين خلفوا حبسهم معنوياً، رغم أنهم أحرار في واقع الحياة دون أن

يقيد حركتهم أويحبس أنفاسهم في زنازين مغلقة أويقيد حريتهم بالسلاسل والأغلال، وإنما كان حبسه معنوياً حيث منعهم من الكلام مع أحد من المسلمين كما منع المسلمين من أن يكلموهم؛ حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه فتابوا توبة نصوحة، فتاب الله عليهم وأثنى عليهم بعد توبتهم بقوله: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).

وعقوبة النفي معروفة في الإسلام وهي عقوبة تربوية، والنفي يكون بمنع الكلام أيضاً، كما منع الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يكلموا الثلاثة الذين خلفوا قال تعالى: (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار.....، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم، التوبة (١١٧-١١٨). وفي الحديث الشريف توضيح لمدى المعاناة التي عاناها الثلاثة نتيجة النفي المعنوي، قال كعب: ونهى رسول صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، قال: فاجتنبنا الناس- أو قال: تغيروا لنا- حتى تنكرت لي في نفس الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا

يكلمني أحد، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه فوالله ما ردّ علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟ فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينما أنا أمشى في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام ببيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاءنى فدفع إلي كتابا من ملك غسان، وكنت كاتباً. فقرأته فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت حين قرأتها، وهذه أيضاً من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها.

كما امتنعت السيدة مريم عن الكلام لتنفي عنها التهم وذلك كان بتوجيه رباني، (فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا) مريم-اية ٢٦، وقبل ذلك نفت مريم نفسها فرارا من ألسنة الناس، قال تعالى:(فحملته فانتبذت به مكانا قصيًا). مريم آية ٢٢

٩٨. (إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا):

وكما بدأت قصة موسى عليه السلام بالتوحيد فإنها ختمت به أيضاً، فختمت بإعلان التوحيد وتأكيده(إنما إلهكم الله) فقط لا إله غيره فلا عجل ولا صنم ولا معبود غيره ولا إله إلا هو، العَالِم الذي وسع علمه مافي السماوات ومافي الأرض، والذي (لا يعزب عن علمه مثقال ذرة).

- وإلى هنا انتهت قصة موسى عليه السلام، والتي كانت سلواناً لمحمد صلى الله عليه وسلم خاصة وللمؤمنين عامة ودعوة إلى التوحيد الخالص،وتأكيدًاعلى أن الله ينصر رسله والمؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

الأسئلة التقويمية الختامية:

١. ماذا قال لهم هارون عليه السلام عندما عبدوا العجل؟ وماذا ردوا عليه؟

٢. لخص ماذا قال موسى عليه السلام لأخيه وللقوم وللسامري؟

٣. تحدث عن عقوبة النفي على ضوء الآيات؟

٤. تؤسس الآيات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أوضح ذلك؟

٥. غضب موسى عليه السلام كان لله فما مظاهر هذا الغضب؟

٦. لابد من عقوبة لكل من يفتن الناس فما عقوبة السامري؟

٧. بطلان ألوهية العجل واضحة هات الأدلة من الآيات؟

٨. قالوا: (هذا إلهكم وإله موسى) وقال هارون: (إن ربكم الرحمن) قارن بين كلمتي إله ورب؟ وبين مناسبة كل منهما للحدث؟

٩. بدأت قصة موسى عليه السلام بالتوحيد وانتهت بالتوحيد أوضح ذلك؟

١٠. أوجز أهم حدث في الآيات؟

الموجز:

ترك موسى عليه السلام قومه، وخلف عليهم هارون عليه السلام، وجاء بسبعين منهم لميقات ربه،ولكن الشوق حداه ليتعجل في قدومه للميقات، فسأله العليم لم تعجلت؟ فاحتار بالجواب وقال: هؤلاء هم قريبون مني، وإنما تعجلت عنهم لأنال رضاك، فأخذ الألواح وأخبره العليم بأن قومه عبدوا العجل، فعاد إلى قومه غضبان آسفاً وعاتبهم وناقشهم وذكرهم بنعم الله عليهم، فذكروا له أننا أردنا التخلص من الذهب الحرام وأن السامري قد صنع لنا عجلاً فأحببناه وعبدناه، ثم توجه بالعتاب الشديد والغضب الشديد على أخيه هارون عليه السلام قائدهم، فأدلى هارون عليه السلام بحجته بكل لطف ورحمة لحال أخيه موسى عليه السلام الذي بدا الغضب لله عنده في أشده. وأخيراً خاطب السامري وسأله عن فعلته وقرر عقابه بالنفي وحرق صنمه وإهلاكه؛ ليقرر أخيراً عقيدة التوحيد في نفوس قومه (إنما إلهكم الله الذي

لا إله إلا هو وسع كل شيء علما).

ماذا نأخذ من الآيات لواقعنا الحالي:

١. **الوحدة:**قال تعالى: (وما أعجلك عن قومك ياموسى).لابد للقائد أن يبقى مع جنده ولا يتعجل الخطة تحت أي مسمى، ولا يجوز له أن يجتهد في مورد النص، وكذا على الأب أن يخصص وقتاً لعائلته ولا يكثر التسفار بعيداً عنهم.ولقد عاتب الصديقُ خالداً رضي الله عنهما لأنه ترك جنده سراً ليؤدي مناسك الحجقائلا : إياك أن تعود لمثلها.

إن رعاية الجماعة والحفاظ على مصالحها من قبل القائد والراعي إنما يحقق قطعاً مصالحها، وكذلك على رب العمل أن يبقى مشرفاً على عماله ولا يتركهم إلا لأمرٍ مهم، وأن يوضح لنائبه خطة عمله كما فعل موسى، وعندما تأخر موسى عليه السلام عن رعاية قومه وقعت الفتنة، وكذا كل مسؤول ورب عمل يجب أن ينضبط في عمله ويحرص على الوعد والوقت، وماضاعت أمتنا إلا لأننا لا نحترم الوقت ولا نعطي المسؤولية حقها، ولأننا لا نملك الموازنة الدقيقة بين الأمور فالحفاظ على الوحدة وروح الجماعة ضروري للأسرة وللمجتمعات وللقيادة.

أخطار العجلة:

- في العجلة الندامة وفي التأني السلامة.

- وقد يدرك المتأني بعض حاجته--- وقد يكون مع المستعجل الزلل.

- وقيل: ليس المغامر محموداً وإن سَلِما.

والتأني والتبصر بالبدايات والنتائج سر نجاح الفرد والمجتمعات.

- وفي أُحُد وعندما استعجل بعض الرماة على الجبل في جمع الغنائم انقلب ميزان القوة وتلاشى النصر وحدثت الكارثة وانهزم المسلمون بعد أن كانت لهم الكرة الأولى إلا أن الإجتهاد يبقى له أجره، وهكذا على القادة أن لا يخرجوا عن النصوص القطعية، وكان على موسى عليه السلام ألا يسبق قومه بدون إذن من الله جل وعلا، والله يدرج أنبيائه في معارج الكمال خلافاً لعامة البشر الذين يعتقدون أنه لاشيء في مثل هذا التصرف، وهكذا قياساً على أنفسهم، وقديماً قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

٢. الغضب لله مطلوب:

على المرء أن يغضب لله وأن ينتصر لله في شؤون بيته ومجتمعه وما ينجم عن هذا الغضب كإلقاء الألواح أو أخذ موسى برأس أخيه عليهما السلام؛ فإن الله يغفر ما يند من بعض مظاهر الغضب حيث لا يسيطر الإنسان على نفسه وهذا خاصة في الغضب لله.

٣. كيف نتعامل مع الغاضب:

الغضب سمة بارزة للأسف في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وهو غضب ليس فيه لله شيء. ويكاد الغضب أن يهيمن على سلوكياتنا لأتفه الأسباب الدنيوية، فالأم تغضب والأب والجيران والأصدقاء والزملاء في العمل وفي الشارع كلهم يغضبون غضباً غير طبيعي، وكما قلت فإنه سمة مدمرة للعلاقات الاجتماعية،كما أنه مدمر للصحة النفسية والجسدية كارتفاع الضغط والتجلط الدموي والقلق المدمر ولا تنحصر نتائجه الوخيمة على الغاضب فقط وإنما تتعداه إلى محيطه حيث أن الغضب شعلة من نار تحرق كل ما تصادفه.

ولذا قال صلى الله عليه وسلم لرجل طلب منه أن يوصيه (قال لا تغضب، قال أوصني، قال لا تغضب، قال أوصني، قال لاتغضب).

والرسول صلى الله عليه وسلم وصف لنا البطل قائلاً: (ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب).

ونحن ندرك أن ظروف القهر الذي تعيشه الأمة الإسلامية إضافة إلى معاناة الفقر وتعاظم استبداد الحكام وحاشيتهم بكل مقدرات الشعوب بل وبمستقبلها إنما يجعل الإنسان يتجه نحو الانفجار وهذا ما نراه في واقعنا العربي المعاصر.

ولذا علينا أولاً أن نزيل أسباب الغضب من مجتمعاتنا وخاصة الضغط بكل أنواعه من القمة إلى القاعدة، كما علينا بعد ذلك أن نبحث عن مثبطات الغضب فننشطها في نطاق الأفراد والمؤسسات والأسر.

إن هناك أسباباً جد وجيهة جعلت سيدنا موسى عليه السلام يغضب، وهل أعظم وأفدح من أن يترك موسى عليه السلام قومه لشهر وزيادة ثم يعود إليهم فيجدهم قد عبدوا العجل؟! ولكن سيدنا هارون عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام عالج شدة غضب موسى عليه السلام باللين والحلم والرضا مخففاً من التوترات النفسية الهائلة التي ثارت في نفس موسى عليه السلام غضباً لله فاستعطف موسى عليه السلام ابن أمه، وألان له جانبه ولم يناقشه ولم يقم الحجج على صواب موقفه أو اجتهاده، فعند ثورة الغضب لا تنفع الحجج ولا ينفع إلا اللين والصمت وترك الجدال واسترحام الغاضب والإعتذار إليه.

حبذا لو علَّمنا أولادنا في بيوتنا وفي مدارسنا كيف نتحمل الغضوب وإن كان صعب التحمل في البلاد العربية، ولكن تحمل الغضب وتصريفه أفضل كثيراً من مواجهة الغاضب ومناصبته ومجادلته.

وهنا يجب أن نميز بين الغضب لله المحمود أولاً وآخراً وبين الغضب لدنيا وهو مذموم بداية ونهاية.

وقديماً قيل أصل المرافقة الموافقة.

وقال صلى الله عليه وسلم مادخل الرفق في شيء إلا زانه وما خرج من شيء إلا شانه ولينظر الغاضب إلى نفسه في المرآة أو ليسجل له صوته فقد يرى عجباً يجعله يقلع عن هذه العادة.

والرسول صلى الله عليه وسلم دلنا على كيفية اطفاء نار الغضب فمن شاء الاستزاده فليرجع إلى كتب الحديث الشريف.

٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن ما آل إليه وضع العرب الآن من أشكال التخلف المزرية في كل مجالات الحياة العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى التعليمية والفنية، - ولا أستثني أي مجال من مجالات الحياة-،وماكان ذلك ليكون لو أننا امرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر،أو اعتمدت الأمة والقادة دستور ربهم، إن ذلك كله ناجم عن سيادة ثقافة ما يسمى (التطنيش)، تلك التي سادت في مجتمعاتنا كافة، بل أصبحت دستور حياتنا العربية عامة، وأورد هنا بعض ما شاع من الأمثلة وانتشر وأخذت به شعوب بلاد الشام، وهي الثقافة ذاتها التي سادت بقية البلدان.

ثقافة التطنيش:

- فخار يطربش بعضوا.
- إذا بدك تعيش اعتمد التطنيش.
- طنش تنتعش.
- ألف عين تبكي ولا عين أمي تبكي.
- ألف كلمة جبان أحسن من كلمة الله يرحموا.
- لا أسمع لا أرى لا أتكلم.
- الجدران لها آذان.

- كل مين بياخذ أمي أقول له ياعمي.

- طنش وابتسم.

- مالي دخل.

- إذا بدك تعيش كل شيء بتشوفوا قول مليح.

- ما لذة العيش إلا للبهائم.

- ما دخلني كل مين ذنبوا على جنبوا.

- حط راسك بين الروس وقول يا قطاع الرؤوس.

- شايل السلم بالعرض- دخن عليها تنجل.

ولكني هنا لا أريد أن أعلق على مفردات هذه الثقافة الزرية، كما آسف على الكتابة بالعامية فواقعنا المرّ هو الذي يترجم هذه الثقافة، ولكني أريد أن أقول ما مدى خطورة هذه الثقافة إن سميت ثقافة؟، وكيف نحاصرها، ونقضي عليها، ونجتث جذورها، فأمتنا في تاريخها الناصع ما عرفت هذه الثقافة المتخاذلة، وإنما عرفت (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساس في عقيدتنا، فقد أمر موسى عليه السلام أخاه بالمعروف ونهى وحذر السامري بل عاقبه، ودمر العجل إلهه، وقطع كل أثر له، وهكذا يجب قطع كل آثار الباطل، وقيل ماذنب العجل الذهبي؟ ولِمَ لَمْ ينتفع بثمنه؟ والجواب يجب اجتثاث الباطل ورموزه من جذوره، كما أنه لا يجوز الانتفاع بالباطل في شريعة موسى عليه السلام، لأن الغنائم وأموال المشركين

لا تحل لهم حتى ولو كانت حجراً كما نصح قومه، وذكرهم بالله وأفضاله.

وفي الحديث الشريف: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) وفي حديث آخر: (ليس بعد ذلك حبة خردل من إيمان).

ويوم كانت أمتنا أفراداً وشعوباً وساسة تملك حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سادت العالم بقيم العدل والحرية والمواساة. وَسِجلّ تاريخنا الإسلامي حافل بذلك، ومنه أن الخليفة عمر كان يخطب الجمعة فقال: أيها الناس اسمعوا وأطيعوا فقام رجل وقال له: لا سمع لك علينا ولا طاعة، فقال عمر: ولمَ؟ قال الرجل: من أين لك هذا الثوب الطويل الذي تلبسه؟ ولم أخذت قطعتين من القماش بينما أعطيت كل واحد منا قطعة قطعة....الخ، ثم أليس هو القائل: لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها. فلا خير في الشعوب إ ن لم تقل كلمة الحق، ولاخير في الحكام إن لم يسمعوها - إن ثقافة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سِرُّ صلاح مجتمعاتنا ونجاحها وفلاحها.

٥. عقوبة السارق:

لمس السامري وأخذ قبضة من أثر الرسول ليست له، ولا يحق له ذلك، فحرم من أن يمس أحداً، أو أن يمسه أحد، وهذا هو النفي الحقيقي. فماذا يستحق الذين يسرقون أمة بكاملهاأو يفتنونها أو ينصبون أنفسهم آلهة؟والعياذ بالله، علما بأن النفي المعنوي والمادي له أسس في ديننا كالتغريب والحصار النفسي التربوي.....

٦. التوحيد:

إن من وقر في قلبه أن لا إله إلا الله وأنه وسع كل شيء علماً، لا يمكن له أن يفعل ما فعل السامري، فيضلل الشعوب، ويخرجها من دينها، ولا يمكن أن يكون كقوم موسى عليه السلام الذين أشرب في قلوبهم حب العجل، وعمت بصائرهم عن الحقائق فهذا العجل الذي لا يعي، ولا يدفع ضراً، ولا يجلب نفعاً، كيف يمكن أن يكون إلهاً؟ إن اتباع الهوى يوجب الردى (الموت)، ومن وقر في قلبه أن علم الله يحيط بكل شيء أدرك قزامةنفسه.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

انتهت قصة موسى عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

المقطع التاسع: تفسير الآيات من ٩٩ ـ ١١٤:

الموضوع: عاقبة المجرمين يوم القيامة.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾
فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ

شرح المفردات:

- **كذلك:** أي مثل ذلك سنقص عليك قصص المرسلين كما قصصنا قصة موسى عليه السلام.
- **أنباء:** أخبار عظيمة مفيدة وفق علم أو غلبة ظن وهي تفترق عن كلمة أخبار، وأبو تمام يقول: السيف أصدق أنباءً من الكتب- في حده الحد بين الجد واللعب والله يقول: (عم يتسائلون عن النبأ العظيم).
- **لدنّا:** عندنا.
- **ذكراً:** القرآن العظيم.
- **أعرض:** كذب.
- **وزراً:** إثماً.
- **الصور:** قرن ينفخ فيه سيدنا إسرافيل عليه السلام دائرته بقدر السماوات والأرض.
- **زرقاً:** زرق عيونهم من كثرة الأهوال.
- **يتخافتون:** يسرون الحديث بينهم ويخفضون أصواتهم.
- **أمثلهم طريقه:** العاقل الكامل فيهم.
- **ينسفها:** يمحقها ويطيرها.
- **قاعاً:** الأرض المستوية.
- **صفصفاً:** تأكيد للمعنى السابق، القاع قيل من لا نبات له.

- **لا عوجاً ولا أمتاً:** لا وادياً ولا رابية ولا منخفضاً ولا مرتفعاً.
- **الداعي:** الذي يدعو الصوت الذي يكلمهم.
- **لا عوج له:** لا يميلون عنه.
- **عنت:** ذلت وخشعت وسكنت للحي القيوم.
- **خشعت:** سكنت.
- **الهمس:** الصوت الخفي.
- **القيوم:** الذي يقوم بأمر السماء والأرض والكون.
- **خاب:** خسر.
- **هضماً:** انقاصاً من حسناته.
- **ظلماً:** أي لا يظلمون فيزاد في سيئاتهم.
- **الوعيد:** التحذير والتهديد.

الأسئلة التمهيدية:

١. ما عاقبة من يعرض عن كتاب الله؟

٢. كيف يحشر المجرمون؟

٣. ما حال الجبال يوم القيامة؟

٤. صف مشاهد القيامة كما وردت في الآيات؟

٥. لماذا لا يخاف المؤمن يوم القيامة ظلماً ولا هضما؟

٦. أمر الإسلام بالتدبر ونهى عن التعجل. ما الآية التي تدل على ذلك؟

٧. الله دلّ موسى على الخضر ليتعلم منه و أحال الله محمداً صلى الله عليه وسلم على ذاته؛ ليزيده علماً. قارن بين علم موسى وعلم الخضر وعلم رسول الله- صلى الله عليهم وسلم أجمعين- ثم قارن بين علمهم جميعاً وعلم الله؟

٨. قيل ما يزال الرجل عالماً ما دام طالب علم فإن قال قد علمت فقد جهل. أوضح ذلك؟

٩. قال صلى الله عليه وسلم كن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالثة فتهلك. اشرح الحديث؟

١٠. هل تحرص على طلب العلم؟ وكيف؟ ولماذا؟

التفسير:

٩٩. (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا):

في بداية السورة كان الحديث عن القرآن ومنزّلِه ولمن أُنِزل،وأوضحت أن الغرض من نزوله تحقيق السعادة البشرية وهنا عادت الآيات- بعد قصة موسى عليه السلام وما فيها من لطف الله به وبالمؤمنين- وأوضحت أن اتباع الحق هو طريق النجاة والآن تعود الآيات لتتصل بما سبق ولتوضح أن هذا القرآن ذِكرٌ لك يا محمد ولقومك، وأن هذا القرآن حياة للناس عامة وأن من يعرض عنه فما له إلا العذاب في الآخرة والدمار في الدنيا، كما دمر الله فرعون وجنده يوم أعرضوا عن الحق المبين.

ولقد قص الله على نبيه صلى الله عليه وسلم غيرة موسى لله وغضبه على عبدة العجل وحرقه للعجل وطرده للسامري، وإفراده الله بالتوحيد بقوله: (إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو)، ثم خص الرسول محمداً بالذكر اللدني وهو القرآن الكريم ؛ الذي فيه أنباء عظيمة عمن سبق سنقصهاعليك تبصرة لك وتكثيراً لمعجزاتك وتثبيتاً لفؤادك وتذكيراً لأولي الألباب من أمتك، فلا يخفى عليك شيء من أسرارنا،مما منحنا ه لمن قبلك من الأنبياء.

ونكرت كلمة(ذكراً) لتعظيم شأن القرآن ليعظمه الناس وكلمة من(لدنا) توكيد للتعظيم وأنه عطية من الله حظي بها عباده تشريفاً لهم.

١٠٠. (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا):

وهذا إنذار لكل من يعرض عن هذا الذكر الذي أنزل لإنقاذ البشرية وإسعادها، لكل من يعرض بالرفض أ وباتخاذه هزواً أو بتضليل الشعوب عنه،إن أولئك الذين يحاربون الله ورسوله وعباده المؤمنين سيحملون أوزار ذلك

الإعراض في هذا السفر الطويل الشاق والوقت العصيب، ولن يضعوا هذه الأحمال ولا الآثام والأثقال الإجرامية عن ظهورهم إلا وهم في نار جهنم.

١٠١. (خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلا):

فهم ظنوا أنهم خالدون في الدنيا خالدون في إجرامهم، ظنوا أنه لا عقاب ولاجزاء، فالدنيا دنياهم ؛فليخلدوا هنا مع أوزارهم وآثامهم في نار جهنم، وبئس ماحملوا يوم القيامة بئس ما جاءوا

به من دنياهم إلى آخرتهم، فما حال من يحمل ملف جرائمه إلى حاكمه أليس مزيداً من البؤس والشقاء؟.

١٠٢. (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا):

ثبت في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصور فقال: (قرن ينفخ فيه) ومن رواية أبي هريرة أنه قرن عظيم ،الدائرة منه بقدر السماوات والأرض، وجاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (كيف أنعم وصاحب القرن **قد** التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن ُيؤذن له، فقالوا يارسول الله كيف نقول؟ قال قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا).

فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية ليوم الحساب حشر المجرمون و وجوههم مشوهة، وعيونهم مرهقة زرق من كثرة العناء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن ليوم القيامة حالات فحالة يكونون فيها زرقاً وأخرى يكونون فيها عمياً وهذه حال المجرمين، فكيف في هذا اليوم العظيم المخيف يستطيع أن يسير الأعمى الذي كان في الدنيا أيضاً أعمى عن دين الله؟(قال رب

لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى).

١٠٣. (يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا عَشْرًا):

١٠٤. (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا):

الرعب ملأ قلوبهم جراء ما حملوا من أوزار في الدنيا، فهم يتخافتون في الكلام خوفاً ورعباً، وهذا حال المجرم عندما يُحْشر مع جرائمه، وفيم يتخافتون؟ إنهم يتذاكرون قصر الدنيا، فهي مضت كعشرة أيام بل يقول عاقلهم: إن أقمنا في الدنيا إلا يوماً، وهذا يدل على قصر أيام الهناء في الدنيا،وتلاشي متاعها أمام أهوال الآخرة التي سيصادفونها.

١٠٥. (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا):

سأل كفار مكة عن حال الجبال الراسيات ماحالها يوم القيامة ؟فكان الجواب هذه الرواسي ينسفها ربي نسفاً.

وقيل: إن المعنى يفيد الشرط أي إن سأل المشركون عن حال الجبال وهم يرونها عظيمة جداً ماحالها يوم القيامة فأجب يا

محمد، والجواب إن الله يقتلعها من أصولها ثم تدك فتصبح رملاً ثم يصيّرها هباء كالعهن المنفوش.

.

١٠٦. (فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا):

١٠٧. (لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا):

هذه الجبال الشامخة ينسفها ربي نسفاً؛ فتبدو أرضاً ملساء جرداء مستوية منخفضة بعد ارتفاع، فلا نتوء ولا اعوجاج فيها فقد سويت بالأرض فلا علو ولا انخفاض.

١٠٨. (يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إلا هَمْسًا):

قال قائل: هل في الأرض اليوم عوج حتى يقال: لا ترى فيها يومئذٍ عوجاً ؟قيل:إن المعنى ليس فيها أودية أو موانع حتى يعوج، مثلما يفعل الإنسان اليوم في الدنيا فإنه يسير يميناً ويساراً لوجود الموانع.

- قال القرطبي: إن هذه الآية تدخل في باب الرقي للثآليل تؤخذ ثلاث أعواد من بين الشعير وفي طرف كل عود عقدة وتمر كل عقدة على الثآليل وتقرأ الآية مرة واحدة وتدفن الأعواد في مكان ندي فتعفن الثآليل وتسقط، ويقول القرطبي: ((جرب ذلك في نفسه وفي غيره فوجده نافعاً بعون الله)) ارجع إلى تفسير الآية للقرطبي.

- يوم القيامة يتبعون إسرافيل الذي ينفخ في الصور حيث يدعوهم إلى المحشر؛ فيتبعونه ولا ينحرفون عنه، ولهول الموقف فإن أصواتهم خاشعة ساكتة فلا تسمع همسهم، والهمس الصوت الخفي،و أصواتهم ومشيهم في سكون وخضوع.

١٠٩. (يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا):

في هذا الموقف العصيب لا تنفع شفاعة أحد إلا إذا أذن له الرحمن بذلك، وكان قوله مرضياً قال ابن عباس: إلا الله. أي المشفوع فيه موحد، وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم، وأكرم الخلائق على الله عزوجل أنه قال: (آتي تحت العرش، وآ

أخر لله ساجداً، ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن، فيدعني ما شاء أن يدعني، ثم يقول: يا محمد إرفع رأسك وقل تسمع، واشفع تشفع – فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنة ثم أعود) فذكر أربع مرات، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء. وفي الحديث أيضاً: (يقول تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال

من إيمان، أخرجوا من النار من كان في قلبه ما يزن ذرةً، من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان). ابن كثير ص ٢٢٤.

وهنا رغم الأهوال والخوف الشديد نجد كلمة (الرحمن) تلقي بظلالها على الجو، وتظهر رحمة الله بعباده المؤمنين.

١١٠. (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا):

الرحمن جل وعلا لا يخفى عليه شيء من أحوال الخلق ماضيها ولا آتيها من جنة أو نار؛ فعلمه محيط بالخلائق كلها وهم لا يحيطون به علماً؛ فسبحان من يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار والإحاطة بالشيء تعني له حد وتعالى الله عن التحديد.

١١١. (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا):

ذلت لله الرقاب، وخضعت لحكمه الخلائق، ومن حمل ظلما في حياته خسر في آخرته، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وأكبر الظلم وأعظم الخسران من جاء ربه يوم القيامة مشركاً به.

وفي الحديث الصحيح: (إياكم والظلم فإنه ظلمات يوم القيامة).

إن الوجوه كلها تخضع للحي القيوم اما الذي يحمل ظلماً فقد خاب وخسر.

١١٢. (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا):

إن من يعمل من الصالحات أي بعضها بإخلاص وتجرد وهو مؤمن في الحال والمآل، مؤمن بالله تتوفر فيه كل سمات المؤمن فإنه لن يخاف يوم القيامة ظلماً أي زيادةً في سيئاته، فهو لا يتحمل أوزار غيره كما لا يخاف أن يهضم حقه أي تنقص حسناته.

فالله هو العدل ولا يظلم ربك أحداً.

هذا وإن الإيمان شرط في قبول الصالحات وإن الله يرفع العبد على قدر همته.

١١٣. (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا):

- أي مثل ما سبق من إنزال آيات الوعيد فقد أنزلنا إليك هذا القرآن،وهو تشبيه الجزء بالكل، أي على نمط واحد أما إضمار القرآن في قوله تعالى (أنزلناه) فذلك للدلالة على نباهة شأنه، وأنه مركوز في العقول حاضر في الأذهان. من تفسيرروح المعاني للآية للألوسي.

- إن الله أنزل هذا القرآن عربياً وبشيراً ونذيراً؛ ليفهمه العرب وليروا ما فيه من إعجاز لهم ولغيرهم، وليدركوا أنه من رب

العالمين. ولقد (صرفنا) أي كررنا فيه من الوعيد لعلهم يتجنبون الشرك والمعاصي.

أو يحدث لهم ذكراً: أي ليحدث لهم عظة عند سماع القرآن أو تلاوته،هذه العظة تجنبهم فعل المعاصي وتحضهم على العمل الصالح.

١١٤. (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآَنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا):

تعالى تنزه (الله) الذي ولهت به القلوب في كبريائه وعظمته وجلاله ومجده، الله (الملك): أي المالك لكل شيء، القادر على الإيجاد والمتفرد به والمتصرف بكل شيء وهو المالك الحق لكل شيء، وقوله حق وفعله حق وعدله حق والقرآن حق.

(ولا تعجل بالقرآن): أي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتبع جبريل ويتعجل بالتلقف منه والتلفظ مخافة النسيان. أي كلما قال جبريل آية قالها الرسول صلى الله عليه وسلم معه من شدة حرصه على القرآن، فأرشده الله إلى الأسهل قائلاً: (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه). وقال أيضاً: (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه).

وخلاصة الأمر: أنصت فإذا فرغ المَلَكُ من قراءته عليك فاقرأه بعده.

(وقل رب زدني علماً) أي زدني يارب علماً من عندك؛ فما زال الرسول صلى الله عليه وسلم في استزادة للعلم حتى توفاه الله.

قوله: { وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً }: فإذا كان أَعْلَمُ البَشَرِ، وسيِّدُ العرب والعجم، ومَنْ شهد له الحقُّ بخصائص العلم حين قال: { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ } [النساء:١١٣] يقال له: { وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً } - عُلِمَ أَنَّ ما يخصُّ به الحقُّ أولياءَه من لطائف العلوم لا حَصْرَ له. ويقال أحاله على نفسه في استزادة العلم. وموسى عليه السلام أحاله على الخضر حتى قال له: { هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً } [الكهف:٦٦] فشتان بين عبدٍ أحيل على عبدٍ في ذلك ثم قيل له: { إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً }[الكهف: ٧٢]- ومع كل ذلك التلطف،فإن الخضر قال له في آخر الأمر { هَذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ.... } [الكهف:٧٨].- وبين عبدٍ أَمَرَه عند استزادة العلم بأن يطلبه من قِبَلِ ربه فقال: قُلْ يا محمد: { وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً }. ويقال لما قال سيدنا محمد عليه السلام: " أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له " قال الله جلّ جلاله له: { وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً } لِيُعْلَمَ أَنَّ أشرف خِصالِ العبدِ الوقوفُ في محلِّ الافتقار، والاتصاف بنعت الدعاء دون الوقوف في مَعْرِضِ الدعوى.

مجمل التفسير للآيات من ٩٩ ـ ١١٤:

كما قصصنا عليك يا محمد خبر موسى عليهما السلام، كذلك نقص عليك أنباء عظيمة عن الماضي، كما أنا آتيناك وخصصناك بالقرآن العظيم الذي لا أكمل منه، ومن كذب به ولم يتبعه وأعرض عن أحكامه فسيحمل آثامه هذه يوم القيامة التي ستلقيه في نار جهنم خالداً وبئس ما حمل من دنياه لآخرته. حيث الأهوال وحيث يحشر المجرمون وقد بدا عليهم الإعياء وهالهم الموقف فلا يستطيعون الكلام إلا همساً ظانين لهول الموقف أن دنياهم مجرد عشرة أيام كانت، بل قال أعقلهم لقد كانت دنيانا كيوم.

وإن سألك كفار مكة يا محمد عن حال الجبال الراسيات يوم القيامة فقل إن ربي يقتلعها ويطيرها كالعهن المنفوش؛ فلا ترى في الأرض وادياً ولا تلاً وإنما هي أرض ملساء لا عوج فيها.

أما المجرمون فسيذعنون ويخضعون ويتبعون صوت المنادي ويسرعون إلى المحشر مطيعين طا ئعين حيث كل الخلائق خاشعة أصواتهم يوم القيامة، لا أحد يستطيع الشفاعة إلا إذا أذن الله له وكان المشفوع به موحداً.

- وخضع الناس لله وخاب وخسر الظالمون والمجرمون، أما من يعمل الصالحات بإخلاص وإيمان فإنه آمن حيث لا توضع عليه أوزار غيره ولا ينقص من أجره.

- وهكذا أنزل الله القرآن عربياً للعرب حتى يفهموه ويعظمونه ؛لأنهم أدرى الناس بإعجازه وما فيه من وعيد ولعل مشركي مكة يتقون ربهم أو يؤثر فيهم سماع آيات الله.
- الله هو المنزّه عن كل عيب وهو المالك المتصرف الحق وقرآنه حق، فلا تتعجل يا محمد في حفظه وانتظر جبريل حتى ينتهي واطلب الزيادة في العلم من ربك جل وعلا.

العظات:

- إنّ إعراض الأمة عن قرآنها له عاقبة وخيمة، لذا فليست قصة موسى عليه السلام للمتعة فقط وإنما للعظة والعبرة.
- وإن الأمة إذا أعرضت عن قرآنها وسارت وراء المضلين وما أكثرهم في عصر الفتن فإنها ستلقى وبالاً ودماراً بكل أنواع الدمار العسكري والسياسي والخلقي والإقتصادي وهذامانراه في واقع الأمة في هذا العصر.

ماذا نأخذ من الآيات لحياتنا الواقعية:

١. الدنيا مزرعة الآخرة فعلينا أن ننظر إلى ماذا نزرع وماذا سنحصد؟

٢. عاقبة الإعراض عن الذكروخيمة فما المطلوب؟

المطلوب العودة إلى القرآن قولاً وعملاً وسلوكاً أفراداً وجماعات ودولاً. ولكن كيف نعود إلى القرآن و الطغاة يحاربوننا ويحاربون القرآن؛ ولذا يجب علينا أن نفهم لماذا يحاربوننا ويحاربون القرآن؟ ثم نتصرف كما تصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم،وأن نميز بين مرحلة الدعوة والإمهال ومرحلة الدولة.

إضافة إلى أن العودة إلى القرآن: تتطلب أولاً فهمه وتفهيمه وهذا واجب على كل فرد لقوله صلى الله عليه وسلم: (بلغوا عني ولو آية) ولذا على كل واحد منا أن يضع على عاتقه هم هذا الدين بداية ونهاية، ولا يلقي أمره على غيره،وبعد عملية الفهم والتفهيم أو معها تأتي عملية التطبيق والسلوك وذلك لا يتم إلا ضمن الحاشية المؤمنة الصادقة كما كانت الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).

إن اتباع نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلوب دعوته وحكمته وكذلك أسلوب قيادته وحزمه لهو سبيل نصرنا وعزنا،والقرآن الكريم درّب رسوله وعلمنا إلى الأبد كيف نخطط ؟وكيف ننتصر وكيف نسعد أنفسنا وغيرنا والبشرية؟هذا وإن الأمة الإسلامية التي أعرضت عن كتاب الله في هذا العصر لتلقى من العناء والوباء والذل في هذه الأيام ما الله به عليم،ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

٣. الشفاعة والواسطة:

إن أمتنا التي سادت فيها نظم الواسطة والشفاعة بالباطل اختلت فيها الموازين والقيم وضاعت الحقوق وعلا الباطل على الحق، واضطربت حياة الناس، وإن الأمم الراقية في دنياها في هذا العصر ألغت الواسطة والمحسوبية، ووضعت قانوناً يضبط نظم الحياة، أما نحن فلا قانون يحكمنا إلا قانون الغاب، ولذا فإن القرآن حدد نوعية الشفاعة يوم القيامة وهي لمن أذن له الرحمن وكان المشفوع له موحداً، والشفاعة هنا إكرام للشافع ورحمة بالمشفوع دون أن ينقص من حق الآخرشيء، ودون أن يعلو باطل على حق. وإنما قول الله الحق وحكمه الحق.

٤. **العجلة:** تعجل الرسول صلى الله عليه وسلم حرصاً على القرآن، كما تعجل موسى عليه السلام إلى لقاء ربه تاركاً قومه، وكل ذلك ابتغاء مرضات الله إلا أن الله جل وعلا وجه أنبياءه كما أمرنا بالتأني والتروي سبيلاً للنجاح وللوصول إلى الأهداف إلا أننا للأسف نتعجل في هذه الدنيا، ونسرع لنجمع المال ونحقق المتعة والشهوات، ولا نأبه إلى المضّرات الناجمة عن ذلك سواء لنا أو للمجتمع فنتعجل في جمع المال ونؤدي الأعمال بلا اتقان، ونتعجل في إطلاق الأحكام على الناس، ونتعجل حتى في الفتيا، والمطلوب هنا خاصة التروي والتثبت،

وهذا ما يزل به بعض العلماء حيث يطلقون الأحكام المتضاربة ؛فيشوشون على الناس دنياهم وهذا ما تجده خاصة عند علماء السلطان الذين يتعجلون بالفتيا له فيَضِلون وُيضِلون.

٥. **وقل ربي زدني علما:** وجّه الله جل وعلا نبيه وهو أعلم من في الأرض وأحبّ الخلق إليه وجّهَهَ إلى طلب الاستزادة من العلم من ربه جل وعلا تبياناً لأمته حتى تسلك طريق العلم، فإذا كان نبينا وُجّهَ هذا التوجيه على جلال قدره وعظمة موجهه جل وعلا، فلماذا تنصرف أمتنا أفراداً وشعوباً وحكومات إلى طلب الاستزادة من المال، ولسان حالنا يقول: وقل يا مسلم يا عربي قل: يا رب زدني مالاً،أو زدني جاهاً،أو زدني سلطاناً،أو زدني من شهوات الدنيا حلالها وحرامها.،

ولما اتجهت أمتنا وراء الاستزادة من المال من حله وحرامه وأعرضت عن ذكر ربها وعما أمرها من العلم؛ عندها غاصت في دياجير التخلف ومستنقعات الرذيلة والفوضى حتى غدونا أكثر الأمم تخلفاً في هذا العصر بعد أن كانت لنا ريادة البشرية إلى مواطن الخير والهناء.

لقد تركنا طلب العلم الديني والدنيوي، ورحنا نبحث في أسواق القمامة عن المال،ورسولنا صلى الله عليه وسلم يقول: (لا الفقر أخشى عليكم.....الخ)، ونحن نقول للرسول عليه الصلاة والسلام و للأسف: لا. نحن نخشى الفقر على أنفسنا، كَذّبْنَا رسول

الله صلى الله عليه وسلم وصدقنا أهواءنا، فماذا كان مآلنا ؟لِنُتِمَ الحديث ((وإنما أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتركضوا وراءها فتسبقكم فتهلككم)) أو كما جاء في الحديث الشريف.

هكذا يا سيدي يا رسول الله صدقت فلقد سبقتنا الدنيا وأهلكتنا وصرعتنا،فلقد فتح الله علينا أبواب النفط والغاز وخيرات الدنيا فأكل بعضنا بعضاً من أجلها، واستثمرناها في ملذاتنا؛ فطغى الغني وجاع الفقير. وإن أوروبا ما نهضت باللهو والمجون،وإنما نهضت بجهود علمائها الذين كانوا دائماً وأبداً يستزيدون في طلب العلم ويطورون ويبحثون ويبدعون حتى سادوا الدنيا بمخترعاتهم، وسادت روائحنا النتنة العالم لأننا تخلفنا عن كتاب الله ونُعِتنا بأشكال التخلف كله. ولو نظرنا إلى نظم التعليم المتخلفة عندنا والتي لا تنتج بَاحِثِيْنَ بارعين، ولا تُطور صناعة ولا زراعة، ولا نقدر أن ندافع عن أنفسنا، ولو تأملنا الدرك الأسفل الذي وصلنا إليه لبكينا لحال الأمة، وما أريد هنا أن أبكي أو أجعل الناس يبكون، وإنما أريد أن تنهض أمتنا كما أراد الله لهذه الأمة أن تكون وسطاً بين الأمم.

يجب علينا أن نأخذ بالأسس التربوية والتعليمية التي نجدها في قرآننا وسنة رسولنا عليه الصلاة والسلام، وأن لا نبقى متقوقعين في أطر بالية ووسائل عقيمة لا يقرها الله ورسوله،وإنما هي وسائل لسيادة الجهل حتى تسودنا الدكتاتورية ونظم الاستبداد.

يجب أن نضيف إلى أصالتنا العلمية وسمو وسائلنا ونهجنا التربوي الإسلامي، ما أبدعه الغرب من طرق ونظم تربوية تعليمية.

لماذا الغرب هو الذي يبدع فقط في مجالات العلوم ونحن فقط نجتر نواتج إبداعاته كالببغاء؟.

لقد سار كثير من الأمم في الإبداع العلمي رغم أنها كانت تعاني من الاستعمار والاحتلال؟ ولقد تحررنا من الاستعمار كما تحرروا وفي الوقت نفسه وربما قبله بل إن دولاعمرها لايزيد عن عمر استقلالنا بَزَتْنَا، فلماذا يسودون وننهزم في كل مجالات الحياة؟.

إن النهضة العلمية تتطلب منا أشياء كثيرة، منها الاعتناء بالطفولة التي لا توليها مجتمعاتنا أي اهتمامات تربوية، وإن كنا لننفق عليهم المبالغ الطائلة على أشكال الطعام واللباس.

ثم لابد من الاهتمام بالشباب والمبدعين.واخيرا إن الفكر العربي ا لمعاصر يحتاج إلى إعادة تكرير،وإن تاريخنا المعاصريجب أن ينقح ويكتب من جديد بأيد أمينة،و يجب ألانفقد الأمل في التفوق والابداع بعون الله ؛ ولا أنسى حكمة قالها أحد الأوروبين ناصحاً أحد أبنائي قائلاً: (الثقافة مفتاح كل مغلق)، وأخيراً أقول رب زدني علماً،وزد أمتنا علماً وعملاً وفقهاً والله الموفق.

الأسئلة الختامية:

١. ما عاقبة من يعرض عن القرآن؟

٢. تبدو الدنيا قصيرة أمام أهوال الآخرة. أوضح ذلك من الآيات؟

٣. ما تعريف الشفاعة ومن يقوم بها ولمن تكون؟

٤. علم الله لا يحاط به. أشر إلى الآية؟

٥. في الآيات مقارنة بين الكافرين والمؤمنين سلوكاً ومآلاً. أوضح ذلك؟

٦. كان القرآن عربياً. فما علة ذلك؟

٧. فلا تعجل بالقرآن. ما معنى ذلك وعلام يدل؟

٨. قارن بين طلب موسى عليه السلام للعلم وطلب محمد صلى الله عليه وسلم للعلم؟

المقطع العاشر: تفسير الآيات من ١١٥ ـ ١٢٦:

الموضوع: عداوة أبليس الأبدية لسيدنا آدم وذريته.

يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ
﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ ٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾
قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾

شرح المفردات:

- **عهدنا:** وصينا.
- **عزماً:** صبراً وحزماً وقوة في الكمال، وقيل لم نجد له إصراراً على المخالفة ولكنه وقع في النسيان.
- **تعرى:** التعري ذل الظاهر، وقرنه بالجوع لأنه ذل الباطن والتعري خلع الملابس كلها.
- **تظمأ:** حر الباطن.
- **تضحى:** حر الظاهر.
- **وسوس:** صوت الشيطان الخفي في صدور الناس.
- **لا يبلى:** خالد لا يفنى.
- **سوءاتهما:** عورتهما
- **الشيطان:** سمي بذلك لبعده عن طاعة الله.
- **طفقا:** بدءا.
- **يخصفان:** يرقعان، وقيل ينزعان ورق التين فيجعلانه على عورتهما.
- **فغوى:** غوي، وفتن، وأغرى بالأكل من الشجرة.
- **اجتباه:** اختاره بعد الزلة وتاب عليه.
- **فهدى:** هداه للاستغفار.

- **ضنكا:** شقية فيها ضيق في الدنيا، والقبر، وفي النار، وفي قلبه لوحشة الكفر،و الإنسان سمي بهذا لأنه عهد إليه فنسي.

الأسئلة التمهيدية:

١. ماذا عهد الله جلا جلاله لآدم عليه السلام؟ ولماذا نسي؟
٢. لم أبى إبليس السجود لآدم عليه السلام؟
٣. أحب آدم عليه السلام الخلود في الجنة فجاءه إبليس من حيث أحب. أوضح ذلك؟
٤. ماعاقبة العصيان؟
٥. ماعاقبة الإعراض عن ذكر الله؟
٦. الجزاء من جنس العمل. أشر إلى الآية التي توضح ذلك؟

تفسير الآيات من ١١٥ ــ ١٢٦:

١١٥. (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا): مماسبق من الآيا ت نلمح ما يلي

لقد أنزل الله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فاتهمه قومه بأن هذا القرآن سبيل الشقاء؛فأبطل الله هذه الفرية. أما موسى عليه السلام فقد دعا فرعون إلى الله فعصاه؛ فكانت عاقبته الغرق في النهر، وأن قِسماً من بني إسرائيل طلبوا عبادة الأوثان كما عبدوا

العجل وكانت عاقبتهم أيضاً وخيمة في الدنيا حيث قتل بعضهم بعضاً.

وإن هذا القرآن العظيم أمر الله نبيه بأن يأخذه بتؤدة وبعزيمة أيضاً.

وفي الآيات التالية ذكر الله حديث آدم عليه السلام لتحذير النبي صلى الله عليه وسلم من العجلة لئلا يقع فيما وقع فيه آدم عليه السلام من النسيان، وليربط ما يلي بمطالع السورة حيث أرانا الله عاقبة العصيان وفي هذه الآيات نجد أن عاقبة نسيان آدم عليه السلام لأمر الله كانت بالهبوط من الجنة،كما نجد أن عاقبة إبليس عندما عصى ربه الطرد والنار، ولذا قال تعالى: (ولقد عهدنا).

أقسم الله أنه قد وصى آدم عليه السلام وأمره قبل أن يأكل من الشجرة بألا يأكل منها إلا أنه نسي العهد، ولم يشتغل بحفظه حتى غاب عنه، والعتاب جاء نتيجة ترك الإهتمام، ومثله يعاتب على هذا وقيل إن آدم عليه السلام نسي وعيد الله بإخراجه من الجنة إن أكل من الشجرة (ولم نجد له عزماً).

ولم نجد له عزماً: قال ابن عباس أي لم نجد له صبراً عن الأكل من الشجرة، وقيل لم نجد له عزماً على الإصرار على المخالفة.

وقيل إن الله عرض قصة آدم عليه السلام على أولاده حتى لا يقنطوا من رحمة الله فإن آدم عليه السلام قد نسي ولم يكن عازماً على العصيان.

١١٦. (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى):

أمر الله الملائكة في كل سماء أن تسجد لآدم عليه السلام سجود تواضع وإكبار َقْدرٍ لا سجود عبادة،وهذا التعظيم حاصل لأن الله أمر بذلك، فهو قد خلق آدم عليه السلام بيده ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء.... وأدخله الجنة فالسجود في الأصل هو إذعان لأمر الله لا عبادة لآدم عليه السلام، فسجدت الملائكة وأطاعت ربها إلا إبليس رفض السجود وتكبر على أمر الله؛ فطرد وأصابه الذل.

١١٧. (فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى):

بعد أن رفض إبليس السجود نصح الله آدم عليه السلام وأوضح له أنّ عدوه الأول إنما هو الشيطان بقوله جل وعلا: (**إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ**) وهذه العداوة ستجعله يحاول إخراجكما من الجنة ليوقعكما في الشقاء في الدنيا؛ أي بالعمل والتعب والشقاء لتحصيل الرزق.

١١٨. (إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى):

١١٩. (وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى):

إن لك يا آدم في هذه الجنة أن تعيش عيشاً رغيداً هنياً بلا تعب ولا عناء،فلا جوع في الجنة ولا عرى فيها، والجوع:عري المعدة وخواؤها وخلوها من الطعام.

والعري: هو خلو الظاهر من الاحتشام واللباس،فذل الجوع عري، والتعري عري.

وكذلك لن تحس بالعطش في هذه الجنة ولا بحرارة الجو ولهيبه.

فأي ضمان وأمن أعظم من هذا؟! فلا نصح أشد رحمة من نصح الله،ولا تصديق أتم من تصديق آدم، ولكن النسيان والوسوسة أوقعاه في الأكل من الشجرة.

١٢٠. (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى):

يقال لما طمع آدم عليه السلام في البقاء خالداً وَسْوَس إليه الشيطان من خلال ما أحب، فقال له هل أدلك على طريق الخلود في هذه الجنة والملك الدائم، وما كان الشيطان يريد لهما دلالة الخير وإنما أراد أن يقع غضب الله عليهما ولم يعلم أن الله تواب رحيم.

١٢١. (فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى):

لما أكلا من الشجرة وارتكبا ما نهاهما ربهما ظهر وبدت لهما ما يُستَحى من ظهوره،أي بدت لهما سوءاتهما ولكن الله لطف بهما فلم يقل (بدت سوءاتهما) أي أنه لم يطلع على سوءاتهما أحد غيرهما.،ويقال لما تجردا عن لباس التقوى تناثر عنهما لباس الظاهر الساتر،

وكان غرض الشيطان العداوة والإضلال إلا أن آدم تاب فوصل إلى الإجتباء، أما الشيطان فوصل إلى اللعنة.

(ونقل الإمام البقلي في عَرائس البيان وحقائق القرآن عن الحصري قوله: بدت لهما ولم تبد لغيرهما ولو قال منهما لظهرت للآخرين، وحبس الله لسان آدم عن إفشاء سر البقاء وأخرجه من الجنة إلى محبس الدنيا). قال جعفر: (طَالَعَ أي نَظَرآدم الجنان بعينيه فنودي عليه إلى يوم القيامة (وعصا آدم ربه فغوى)، ولو طالعها بقلبه لنودي عليه بالهجران أبد الآبدين)، أي إن النعم لا يجب أن تشغلنا عن المنعم، ثم عطف الله عليه، ورحمه وتاب عليه، قال تعالى:(ثم اجتباه ربه فتاب عليه ثم هدى) وهكذا كل من يتوب إلى الله فإن الله يُقبل عليه.

وفي الحديث القدسي ((عبدي لو جئتني بقراب الأرض خطايا ثم جئتني مستغفراً لغفرت لك على ما كان منك ولا أبالي)) وجاء في الحديث القدسي عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال: ((يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم)) رواه مسلم.

وسئل ابن عطاء عن قصة آدم عليه السلام فقيل له:إن الله نادى على آدم بمعصية واحدة، وستر على كثيرين من ذريته.
فما الحكمة في ذلك؟ قال: لأن آدم عليه السلام كان معصيته في جوار ربه في الجنة ومعصية ذريته في دار الدنيا وهي دار الإمتحان؛ فزلة آدم عليه السلام أعظم وأكبر من زلتهم، (راجع البقلي) إن أردت الاستزادة.

وقيل أظهر الله عذر آدم بقوله: (فنسي ولم نجد له عزماً)، وكيف يعزم آدم على المخالفة وهو في حضرة القدس. ولقد ذكر الله لأبناء آدم عليه السلام معصية أبيهم وكيف أن آدم عليه السلام استغفر وتاب؛ فاجتباه ربه؛ ليدلهم جل وعلا على باب التوبة وأنه غفار رحيم.

١٢٢. (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى):

((وعصى آدم ربه ليعلم أن عظمة الذنوب تكون لمخالفة الآمر وعظم قدره لا لكثرة المخالفة في نفسها)) القشيري ص ١٥٢.
فآدم عليه السلام عصى مرة واحدة فذكرت إلى أبد الأبدين تلك المعصية، كما ذكر بعدها أن الله اجتباه واختاره فالذي اصطفاه أولاً بلا عِلّةٍ أي بلا سبب اجتباه ثانية بعد الزلة والخطأ؛ فتاب عليه وغفر ذنبه وهداه إلى ربه وإلى الاعتذار منه جل وعلا، وهكذا فإن

إبليس أراد الشر لآدم عليه السلام، ففاز آدم عليه السلام بالمغفرة ونال إبليس اللعنة والطرد.

١٢٣. (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى):

أمر الله جل وعلا آدم وإبليس بالهبوط من الجنة وكان قد طرد الله إبليس قبل ذلك، فنزل آدم إلى حيث العناء والإبتلاء بمفارقة الجنة ودخول الدنيا ومتاعبها ثم بعداوة الشيطان، ثم بالإبتلاء بالشهوات ثم قال الله لهم: لآدم وذريته ولإبليس وذريته إن بعضكم لبعض عدو (فإما يأتينكم مني هدى) أي إذا جاءتكم الأنبياء والرسل فمن اتبع أوامري وهداي وترك هواه ولم يصغ للشيطان ولم يعمل بوسوسة عدوه الأكبر فلا يضل عن طريق الخير ولا يشقى لا في الدنيا ولا في الآخرة.

١٢٤. (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى):

إن من أعرض عن القرآن وعما أنزلته على رسولي محمد صلى الله عليه وسلم وكفر بذلك فله معيشة شقية غير طيبة ولا هنية فلا طمأنينة ولا انشراح صدر،وإن بدا ظاهره ناعماً يأكل ويشرب ما يشاء، فإنه في حيرة من أمره وقلق فحياته ضنك في الدنيا وعذاب

في القبر، وعلى الصراط ويوم القيامة له الحياة التعيسة في النار، وقيل: لا يعرض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه كل شيء.
والضنك يكون في الآخرة أيضاً.
ولذا كما هو كان أعمى عن ذكر الله في الدنيا وكان معرضاً عنه فإنه يحشر يوم القيامة كذلك أعمى لا حجة له ولا بصر ويقاد أعمى إلى جهنم، وفي الخبر (من كان بحالة لقي الله بها).
قال الإمام علي رضي الله عنه: (من لم يعرف الله في الدنيا لا يعرفه في الآخرة) وهذا هو العمى.

١٢٥. (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا):
قال الكافر لقد كنت بصيراً في الدنيا فلم حشرت في الآخرة أعمى، فإن الكافر يحشر أعمى إلى ما شاء الله، ثم يزال عنه ولذا يجيبه الله ليرى أهوال القيامة ومقعده من النار فيكون ذلك له عذاباً فوق العذاب.

١٢٦. (قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى):
لقد أعرضت عن آياتنا في الدنيا ونسيتها ورفضتها وكذلك اليوم نعاملك معاملة من ينساك، والجزاء من جنس العمل.

مجمل المعاني:

- وصى الله آدم عليه السلام بأن لا يأكل من الشجرة إلا أنه نسي فأكل منها ولم يكن عازماً على ذلك، وإنما ذلك ناتج عن وسوسة الشيطان، وأمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام سجود تشريف وتعظيم لا سجود عبادة فرفض إبليس.

وهذا دليل على عداوته لآدم وحواء، وحذرهما الله من محاولات إغوائهما ومحاولات إخراجهما من الجنة.

- في الجنة لا شقاء ولا جوع ولا عري ولا عطش ولا حر وإنما حياة هنية... فما زال الشيطان يوسوس لهما قائلاً: إن أردتما الخلود في الجنة فكلا من شجرة الخلد هذه؛ فلما أكلا تعريا من لباس الجنة وحاولا ستر عورتهما التي ظهرت لهما بورق الجنة. فأحس آدم بالذنب فتاب إلى ربه فغفر الله له ثم أمرهم جميعاً بالهبوط إلى الأرض، وأوضح لهم أن رسلاً سيأتون إليكم أي إلى ذرياتكم فمن اتبع الدين هدي، ومن أعرض عن الدين والقرآن فسيعيش معيشة شقية في الدنيا وفي الآخرة، وسيحشر المعرض أعمى جزاء تعاميه في الدنيا عن شرع الله وإعراضه عنه.

الأسئلة الختامية:

١. ماذا عهد الله جل جلاله إلى آدم عليه السلام ؟

٢. عداوة إبليس بدت قبل نفخ الروح وبعده. أوضح ذلك؟

٣. الطاعة جلبت كل نعيم والمعصية ذهبت بكل نعيم. أوضح ذلك؟

٤. قارن بين ظاهرة العري منذ بداية الخليقة حتى الآن؟

٥. إبليس أضمر العداوة وأظهر النصح لآدم عليه السلام فماذا خسر إبليس وماذا كسب آدم؟

٦. ما الحكمة في ذكر الله للذرية معصية أبيهم آدم عليه السلام؟

٧. الجزاء من جنس العمل. أوضح ذلك من الآيات؟

٨. عاقبة من يعرض عن القرآن عاقبة وخيمة في الدنيا والأخرى. أوضح ذلك؟

ماذا نأخذ من الآيات لواقع حياتنا؟:

١. على العلماء والناصحين أن يبذ لوا جهدهم في توضيح المعاصي ومخاطرها قبل الوقوع بها لا أن ينتظروا حتى تقع ثم يحذروا منها. فلقد حذرالله آدم عليه السلام من الأكل من الشجرة.قبل أن يأكل منها

٢. التكبر داء سَرَى في أوصال الأمة في هذا العصر.

والتكبر هو غمض الحق وبطر الناس، ونجد هذه السمة بارزة من القمة إلى القاعدة، والتكبر ينجم عن الجهل بحقائق الأمور وعن اضطراب الموازين والقيم وهضم حقوق الناس؛ وعاقبتة الخسارة في الدنيا والآخرة.

٣.اعرف عدوك أولاً معرفتك لنفسك، اعرفه نفسياً ومادياً وثقافياً وعسكرياً.اعرف آماله وأحلامه ونقاط الضعف فيه ونقاط القوة عنده ودسائسه وحيله وأن لا يغيب عنك أنه عدوك مهما تظاهر بالحب، وعلينا أن لا نكون أغبياء؛ فنضع يدنا بيده،أو نصغي لنصحه،فالعاقبة عندها تكون وخيمة.

ومعظم حكام الأمة اليوم وضعوا أيديهم في أيدي أعدائهم، وألانوا لهم جانبهم، بل ووالوهم في كل شيء، واتخذوهم بطانة بل أمراء لهم؛ فكانت العاقبة على الشعوب وخيمة جداً. أما عاقبتهم فعند الله حسابهم دنيا وأخرى. قال تعالى لآدم عليه السلام موضحاً ومحذراً: (إن هذا عدو لك ولزوجك).

٤. الحياة في ظل طاعة الله هناء وسعادة وأمن وأمان دنيا وآخرى و الإعراض عن الله ضنك وشقاء كحالنا اليوم،فإن غالب قادة الأمة أعرض عن الله ودفع بالأمة إلى الإعراض أيضاً؛ فماذا كانت العاقبة؟ أعرضنا عن الله فأعرض الله عنا، وأذاقنا لباس الجوع والخوف والذل والتخلف؛ فأصبحنا أذل أمة بعد أن كنا أعز أمة وكما قال عمر بن

الخطاب: (كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما طلبنا العزة بدونه أذلنا الله).

٥. العري ظاهرة سادت مجتمعات المسلمين بنسب مختلفة، ولهذه الظاهرة مؤسساتها ومناصروها من الحكام واللادينين، وتهدف إلى تميع أخلاق الأمة،وجعل شباب الأمة يدورون في حلقة مفرغة مركزها المرأة العارية، ولقد روّجوا للعري تحت دعوى الحرية وحقوق المرأة،وفي الوقت نفسه حاربوا الحجاب بكل أنواع الأسلحة إعلاناً وإسراراً حتى أنه منع في كثير من الدول العربية والإسلامية. وحوصر الحجاب وحورب واتهم بالإرهاب، إن هؤلاء المغرضين من دعاة تحرير المرأة دَعَوْها للعري من باب الحرية، ومنعوها من الحجاب، ولا أدري إذا كانت المرأة حُرّة في العري، فلماذا لا تكون حرة في الحجاب؟!ولماذالانعطي المرأة حريتها في الاختيار؟ إن هؤلاء المغرضين لا يعرفون معنى الحرية ولاكيف نهض الغرب؟ ولا حقيقة تلك النهضة، ولاعلام قامت ؟وعلى أي شيء أُسِسَت ؟هذاوإن العري للأسف أصبح وسيلة إعلامية لترويج كل البضائع وخاصة بضاعة الرقيق الأبيض.

العري ليس حرية، وإنما هو عقوبة عاقب الله بها آدم عليه السلام وزوجه ضمن حدود العائلة، والسبب أنهما وقعا في المعصية.

إذا كان العري مظهراً يستحي منه الإنسان الأول، وكشف السوءة مبعثاً للحياء حتى ولو كان بين الزوجين حيث بدت لهما سوءاتهما ولم تَبْد لغيرهما، وما نلاحظ من عُرْي وتهتك لا أخلاقي ومبرمج في بعض بلدان المسلمين، إنما مبعثه السياسة القذرة التي يحاول من خلالهابعض الساسة أن يُلْهُوا شعوبهم بالجنس، ويغمسوه فيه غمساً، وجُلّ وسائل الإعلام هذا ديدنها،وكلنا يعرف أهمية وسائل الإعلام لدى العالم المتحضرودورهاالتربوي والتثقيفي،اما غالبية وسائل إعلامنا فهي بين مطبل ومزمر وراقص ومغن أو مُسَبّح بأمجاد الحاكم،وكأننا حققنا لشعوبنا كل الأمجاد حتى تاه العَدّادُ في عدّ انجازاتنا الباهرة،وكأنّه لم تعد لدينا قضايا الفقر والجهل والإحتلال والأمية والتخلف الحضاري والبحث عن لقمة الخبز. والحقيقة أنه لم تبق لدى الشعوب بقية تستطيع أن تحاسب الحاكم، وأن تقول له من أين لك هذا وذلك وذاك؟،

فالغارق في الشهوات أو المصارع من أجل رغيف الخبز؛ لايستطيع أن يستيقظ فكيف يوقظ غيره؟

ومع اكتساح تيار العري لمجتمعاتنا؛ وذلك نظراً لما يجد من جيوش مدججة بالمال وبوسائل الإعلام، تؤيده وتحميه وتؤازره إلا أن تيار الستر والعفاف- ورغم القهر والإستبداد- بدأ يتعاظم ويشب وينمو فطرياً وواقعياً؛ ليأخذ دوره في ريادة الحياة.

٦. المعيشة الضنكا التي تعيشها الأمة:

إن المعيشة الضنكا التي تعيشها الأمة؛ ما هي إلا ناجمة عن إعراضنا عن كتاب ربنا وتحكيم أهوائنا، لأننا نبذنا شرع الله وراء ظهورنا، و ذهبنا نطلب العزة والهناء من دول الغرب والشرق في الشيوعية وفي الرأسمالية.

و للأسف لقد جربنا كل شرائع العالم الرأسمالية والشيوعية، وما تركنا قانوناً إلا جربناه،لكن شرع الله المجرب قديما والصالح لكل زمان ومكان لم نجربه حتى الآن، إنّ المرارة لتملأ القلوب ؛لأننا ما جربنا شرع الله الذي كان سر سعادتنا ونجاحنا في الماضي بل سر نجاح العالم وسعادته وحريته.

لقد كانت شعوبنا تقيد كالعبيد بأطواق الحديد، وتطبق عليها قوانين ليست من إبداعها،لا بل لم توافق عليها أو حتى لم تستشار، وهكذا ساقنا عملاء الاستعمار الذين بقوا حكاماً لنا بعد التحرر من ربقته، ساقونا إلى جحيم الحياة فعاشت الأمة بعد التحرر من الاستعمار ظاهرياً أسوء أيامها،نظراً لسيطرة المستبدين والعملاء على مقاليد الحكم،وغفلةالعلماءوالعقلاءوالمصلحين عما يحاك للأمة من دسائس مما أوصل أمتنا إلى التخلف الإقتصادي والتربوي والعسكري والتمزق والتشرذم ؛حتى غدت أحياؤنا دولاً متشرذمة،و لكل دولة عَلَمٌ وشَعْبٌ يسوقه طاغٍ إلى حتفه؛ يذله ويحاصره ويطارده ويتعاون مع أعدائه على سلخ هذه الشعوب من كرامتها وتاريخها حتى تغدو جاهزة لقبول الاستعمار ثانية وبشكله الجديد، بعدما رضيت أن تُسْلخَ منها أراضيها على مرأى وعيون الحكام الخونة وجيوشهم التي استخدموها لحماية عروشهم، تلك الجيوش التي سرقت رواتبها ومعداتها من قوت شعبنا الفقير والصابر رغم أنفه، والذي ضحى بالكثير لحماية وطنه وازدهاره، فرجع بخفي حنين، ووجدت الشعوب بعد التحرر أن حكامها أشد طغياناً من الاستعمار، أولئك الذين

أذلوهم و مارسوا الطغيان عليهم تمهيداً لاستعمارهم من بني جلدتهم أو من أسيادهم، ولكن أنى للاستبداد والطغاة أن يميتوا قلوباً عشقت الحرية، قلوباً لا تخاف من الموت فلئن صبرت فإلى حين، ولئن سكتت فإنما هي مرجل يغلي وبركان يتجه نحو الثورة. لقد أحست شعوبنا بالمعيشة

الضنكى التي تعيشها يوم ساقها حكامها إلى الاستبداد والانحلال والتهجين والتدجين وتمجيد الطاغي الذي أدخل الشعوب عبيدا أذلاء في مزرعته،وما يزال المستبدون يمارسون طغيانهم على شعوبهم المقهورة التي يقهرونهابكل الوسائل حتى في الأحلام، حيث تطاردهم في حياتهم أجهزة القمع والظلم الإستخباراتية والتي تسمى ظلماً أمناً.

لقد ظن المستبدون أنهم بإفسادهم الذمم وتجويعهم الشعوب وإغداق الأموال على أجهزتهم الخيانية أنهم أفلحوا ولكن سنة الله في الشعوب ومع المستبدين غير ذلك وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.؟

لقد استيقظت شعوبنا من غفلتها، وبدأت تقارن بين حالتها وحالة شعوب أخرى تحررت من الاستعمار في الوقت نفسه الذي تحررنا من الاستعمار، ولكن تلك الشعوب كشعوب (شرق

آسيا: الصين – الهند – ماليزيا) استطاعت أن تتقدم في أغلب مجالات الحياة؛ حتى أصبحت قوى تضاهي وتنافس قوة الدول العظمى،.وعندما أدركت شعوبنا هذه الحقائق

بدأت تتململ هنا وهناك رغم إرهاب الحكام الخونة وطغيانهم؛ وإن هذا التململ ليعد بمثابة النذير العريان للطغاة، فإما يعودوا إلى شعوبهم و إلى خدمتها والدفاع عنها وإلا فإنها الثورة الكاسحة الساحقة الماحقة التي تقتلع كل جذور الطغيان والفساد لتقيم صرح الحضارة العربية،وليعيش المواطن العربي أياً كان دينه أو معتقده حياةً حرة سعيدة راقية.

٧. مداخل الشيطان:

كثيرة كثيرة تلك المداخل،وأولها شهواتنا الحلال منهاأوالحرام فلقد أتى إبليس سيدنا آدم عليه السلام من خلال شهوة حب البقاء والخلود ونعيم الجنة فأغراه ووسوس له حتى وقع في المعصية التي أدت به إلى مكابدة التعب والشقاء في الأرض، وهكذاتكون مداخل الشيطان ومجاريه في عروقنا،لذاعلينا أن نكافح هذا الوباء الخطر الذي يسير في دمائنا، وتتم المكافحة بالتعرف حقاً على الجرثوم (إبليس) وآليات عمله ووسائله وأهدافه، ثم بالإستعداد لملاقاته

ومنازلته في كل ساعة بل وفي كل دقيقة ولابد من تحصين النفس وتزكيتها باستمرار وإحاطتها بالمضادات الأرضية والجوية حذرا من إبليس وأعوانه،فلابد من إدامة الصلة بالله و ديمومةالبقاء مع الصالحين والصادقين قال تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**) [التوبة آية:١١٩].

المقطع الحادي عشر: تفسير الآيات من ١٢٧ ـ ١٣٥:

موضوع الآيات: مصير الكافرين.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ
وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا
تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ
﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى
ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ
لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن
قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

شرح المفردات:

- **أسرف:** بالغ في التكذيب بآيات الله.
- **لولا:** هلا.
- **آية:** علامة.
- **أبقى:** أدوم في مدته أي باقياً.
- **يهد لهم:** يوضح لهم ويتبين.
- **النهى:** العقول الصحيحة الراجحة التي تنهى صاحبها عن الشر.
- **لزاماً:** لازماً.
- **أجل مسمى:** أجل محدود.
- **آناء الليل:** ساعات الليل أي صلاة المغرب والعشاء.
- **أطراف النهار:** ساعات طرفي النهار.
- **تمدن:** تنظرن بطمع.
- **أزواجاً:** أنواعاً وأشكالاً.
- **لنفتنهم:** لنبتليهم.
- **واصطبر:** شدة الصبر أي جاهد نفسك على إقامتها.
- **العاقبة:** الخاتمة والنهاية الحميدة للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

- **الصحف الأولى:** صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.
- **متربص:** منتظر.
- **الصراط السوي:** الطريق المستقيم.

تفسير الآيات من ١٢٧ ــ ١٣٥:

١٢٧. (وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى):

من كان في هذه الدنيا أعمى فهو بالآخرة أعمى وأضل سبيلا، ومن أعرض عن كتاب الله وشرعه فله الحياة الضنكى دنيا وأخرى.

وكذلك يكون مثل هذا الجزاء لكل من لم يؤمن بآيات ربه وأسرف في طغيانه فليس له في الآخرة إلا العذاب الشديد الذي لا يماثله عذاب، والعذاب الدائم الذي لا ينقطع وشتان بين عذاب الآخرة وعذاب الدنيا (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢)) سورة البروج، (فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ) (الفجر:٢٥-٢٦).

١٢٨. (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى):

أفلم يتبين المشركون في مكة ويعتبروا بكثرة أولئك الذين أهلكهم الله مثل قوم عاد وثمود ولوط وخاصة أنهم يمشون في ديارهم ومساكنهم،ألايعتبر المشركون بما جرى لأسلافهم، فلا يسيروا مثلما سار الكافرون من قبلهم. إن هلاك الماضيين عبرة للقادمين من أصحاب العقول والنهى التي تنهاهم عن الشرور وتعيدهم للصواب.

١٢٩. (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى):

ولولا أن الله كتب في اللوح المحفوظ وأخبر الملائكة أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم وإن كذبوا فسيؤخرون ولا يستأصلون بعذاب، واختلف العلماء في سبب تأخير العذاب على هذه الأمم، **فمنهم من قال:**

١. إن الله علم أن فيهم من يؤمن أو أن ذريتهم ستؤمن.

٢. وقيل المصلحة في ذلك خفية ولا يعلمها إلا الله.

٣. قالت المالكية: الله يخص من يشاء بغير علة.

(وأجل مسمى) أي هناك كلمة سبقت، ووعدا من الله سبق أن عذاب مجرمي هذه الأمة مؤخرٌ إلى الآخرة.

ولولا ذلك لكان العذاب لازماً لهم؛ لأنهم يكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤذونه (راجع مفاتيح الغيب للرازي التفسير الكبير ص ٦٠٦).

١٣٠. (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى):

أَعْلَمَ الله نبيّه أن الآجال محددة، وأن عذاب هؤلاء مؤجل للآخرة،ولذا عليه أن يصبر على ما يقولونه ويتهمونه به. مثل قولهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم (ساحر – مجنون – كذاب – شاعر- ليس بنبي)؛ فرغّبه الله بالصبر والدعاء إلى الله وتبليغ الرسالة وأن لا تصرفه إفتراءاتهم عن رسالته، كما أمره بعد الصبر بالتسبيح؛ لما في التسبيح من تنزيه الله عما يشركون، ولما فيه أيضاً من سلوان وسعادة وراحة وهناء لمن يسبح الله فيسلو به عما يؤذيه،والتسبيح هنا شامل لكل الأوقات ليلاً ونهاراً،وقيل يقصد في التسبيح هنا الصلوات الخمس في أوقاتها (الفجر – الظهر – العصر – المغرب – العشاء)، قال ابن عباس دخلت الصلوات الخمس فيه ؛فقبل طلوع الشمس: الفجر، وقبل الغروب: الظهر

والعصر، آناء الليل: المغرب والعشاء. وأطراف النهار توكيد لصلاتي الفجر والمغرب هذا إذا حملنا التسبيح على الصلوات. (مقتبس بتصرف: التفسير الكبير للرازي).

وقال أبو مسلم:لا يبعد حمله على التنزيه والإجلال. والمعنى اشتمل على تنزيه الله في كل الأوقات والله أعلم.

هذا وإن النفس لتنقبض بالكلام القبيح وآثاره، وإنها لتستنير بذكر الله وترتاح إليه. (لعلك ترضى) أي استمر في التسبيح والتنزيه حتى تصل إلى المقام المحمود؛ فترضى بما عند الله وبقربه ورؤيته عن رؤية كل الناس.

١٣١. (وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى):

لا تمدن لا تنظر إلى الكون بعين الاستحسان.

إن الله ألبس الكون أنوار بهائه فصرف نظر نبيّه عن ذلك ؛لئلا ينظر إلى سواه وحتى لا ينظر إلى الواسطة بل ينظر إلى الله صرفاً. وكما جاء في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك). ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم خالص الحب لله؛ ولذا فإن نظره أعظم من أن ينظر به إلى ما دون الله. قال الواسطي: وهذه تسلية للفقراء وتعزية لهم حيث مُنع خير

الخلق عن النظر إلى الدنيا على وجه الاستحسان. (من كتاب عرائس البيان للبقلي).

ثم بين الله أن ما أعطاه لنبيه من الرسالة والكتاب والقربى خير له مما في الدنيا وأدوم وأبقى.

وقيل: لماذا قال له لا تمدن ولم يقل لا تنظرن؟ والجواب أن لا تمدن أبلغ من لا تنظرن؛ لأن مد البصر فيه حرص ورغبة وإعجاب، أما تنظرن فهي تعني أن المرء قد ينظر بدون أن يصاحب ذلك حرص ؛لذا كانت الأولى أوقع، والنظر غير الممدود معفو عنه، والمنهي عنه هو الإعجاب والرغبة فيه.

ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعد الصبر على المشركين بالتسبيح والتحميد وصرف النظر عن متاع الدنيا، أمره بالعبودية له وملازمة الطاعة فقال تعالى: (وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)

وقد ذكر في مطلع السورة أن هذه الآية مدنية، وذكر أيضاً سبب نزولها فلا داعي للإعادة. وروي أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر بإبل بني المصطلق و قد سمنت؛ فتقنع بثوبه ثم مضى، لقوله تعالى: (ولا تمدن عينيك.....) ثم واساه الله بقوله تعالى: (و رزق ربك خير وأبقى) أي ثواب الله على الصبرخير و أبقى. تفسير القرطبي.

١٣٢. (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى):

إن الصلاة هي الفرض الوحيد الذي فرض في السماء عندما أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت بمثابة الجائزة والهدية الثمينة لهذه الأمة، لذا كما أمر الله نبيه بالصلاة والاصطبار على فعلها أمره أن يأمر أهله بالصلاة، وأهله هم أهل بيته صلى الله عليه وسلم (أي زوجاته وبناته وصهره علي كرم الله وجهه) وقيل (إن المتقين أهل بيته) ولذا كان صلى الله عليه وسلم يذهب صباح كل يوم إلى بيت فاطمة وعلي يوقظهما رضي الله عنهما فيقول: الصلاة، وكان عمر رضي الله عنه يوقظ أهله لصلاة الليل ويصلي متمثلاً بهذه الآية.

(لا نسألك رزقاً) لا نطلب منك أن ترزق نفسك وأهلك وإنما الله تكفل برزقك؛ فتكفل أنت بعبادته فلا يجوز أن تنشغل بالرزق عن الصلاة، فكان صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله ضيق؛ فزع إلى الصلاة وأمرهم بها، وفي الأثر الصلاة قرع باب الرزق، والصلاة شفاء القلوب والصبر صبر النفس، أما الاصطبار فهو مجاهدة النفس وهوأشد وأعلى درجات الصبر، قال ابن عطاء: الاصطبار هو أشد مواطن الصبر؛ وهو السكون تحت مواطن البلاء بالسرّ والنفس والقلب، (والعاقبة للتقوى) أي النهاية الحميدة الحسنة في الدنيا والأخرى لمن اتقى الله.

١٣٣. (وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأولَى):

عميت بصائر مشركي مكة عن الأدلة والبراهين التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بآية- مثل ناقة صالح وعصا موسى .....- تدل على صدقه، كما فعل الأنبياء من قبله فقال الله رداً على باطلهم: (أولم تأتهم بينة مافي الصحف الأولى)، لقد جاءت بينات واضحات بواسطة القرآن تتحدث عن الصحف الأولى - أي التوراة والإنجيل- وما حل بالذين كذبوا وكفروا بالرسل حيث عذبهم الله.

لقد أهلك الله الأمم التي كذبت برسلها بعد أن جاؤوهم بالبينات والآيات، فهل يأمن المشركون أن ينزل بهم العذاب إذا لم يؤمنوا بالآيات التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم؟.

١٣٤. (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى):

أي لو أهلكنا المشركين قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لقالوا لله جل وعلا يوم القيامة: هلا أرسلت إلينا رسولاً؛ فنتبع آياتك من قبل أن نذل في الدنيا، ونخزى في الآخرة في جهنم.

١٣٥. (قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى):

قل لهم يا محمد: إن المؤمن والكافر كل منهما متربص و ينتظر لمن تكون الغلبة والنصر، لذا أُمِر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: تربصوا، أي انتظروا، وفي ذلك تهديد لهم (فستعلمون)- وفيها تهديد ووعيد - من هم أصحاب الحق والطريق الصحيح السوي، وستعلمون من هو المهتدي إلى الحق في الدنيا والجنة في الآخرة.

الأسئلة الختامية:

١. ختمت السورة بالتهديد والوعيد. أوضح ذلك؟

٢. يدعو الله كفار قريش إلى التفكر والتأمل في الأمم التي كانت قبلهم كعاد وثمود. فما الغرض من هذه الدعوة؟

٣. اتهام مشركي مكة للرسول وافتراؤهم عليه كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم ويضيق صدره بها. فإلى ماذا أرشده ربه ليخلص من الضيق؟

٤. ما الآية المدنية في السورة؟ وما سبب نزولها؟

٥. الدنيا زهرة ذابلة مغرية. أوضح ذلك؟

٦. لا تنشغل بطلب الرزق عن الصلاة. ما الآية التي توضح ذلك؟

٧. العاقبة للتقوى في الدنيا والآخرة. أوضح ذلك من خلال السورة كلها؟

المجمل:

من نسي الله في الدنيا، نسيه الله في الآخرة، وهذا جزاء كل كافر مسرف، فإضافة إلى ضنكه في الدنيا يعذب بنسيانه في عذاب أشد وأدوم في الآخرة، وإن ما حدث للأمم السابقة من هلاك - والتي يمشي كفار مكة في ديارهم - يكفي لأخذ العبرة والعظة لمن له عقل راجح. فاصبر يامحمد على أقوالهم ورفضهم الإيمان واصبر على الأذى الذي ينزل بك، و سبح بحمد ربك لتطرد عن نفسك الهموم والأحزان، واستمر في الصلاة والتسبيح حتى تصل إلى المقام المحمود الذي يرضيك، وإياك أن تنظر بطمع إلى نعيم الدنيا فما أعطاك الله من نبوة وعلم خير وأبقى من متاع الدنيا، ثم أْمُرْ أهلك بالصلاة واصطبر على أدائها ولا يشغلنك الرزق عنها؛ فالنهاية الحميدة في الدنيا والآخرة هي لمن اتقى ربه، وقومك ما زالوا يطلبون الأدلة على صدقك ويطلبون منك أن تأتي بآيات كآيات موسى وعيسى وإبراهيم عليهما السلام، أفكلما جاءهم دليل رفضوه! فهل نسوا أن القرآن بيان لما سبق من الشرائع، وأنهم مستمرون بالتعنت، و نحن (الله) إن أهلكناهم قبل أن تأتيهم بالقرآن؛ لقالوا: ربنا لم أهلكتنا قبل أن ترسل لنا رسولاً فلو كنت أرسلت لنا رسولاً لاتبعناه قبل أن نذوق هذا العذاب في الآخرة. و الله يقول لنبيه قل لهم انتظروا وأنا معكم منتظر يوم القيامة،وستعلمون عندها من هو على حق ومن هو المهتدي.

الواقع: كيف نطبق الآيات في واقع حياتنا:

١. إن الأمة التي لا تنظر إلى ماضيها ولا تأخذ منه العبر هي أمة مغرورة لا تعتبر ولا تتعظ،هي شجرة مقطوعة الجذور،تعصف بها الرياح في كل الاتجاهات ،فعلى الإنسان أن ينظر إلى الماضي،وأن يأخذ منه العبر والعظات ويتأمل أين الأجداد وأجداد الأجداد؟

إن ما تحت الأرض من البشر ربما أكثر ممن على سطحها، وإنا جميعاً صائرون إلى بطنها، فلنعتبر ولنتعظ.

٢. الأعداء ديدنهم الإفتراء والتبديل، فعلى المرء أن يعرف عدوه تماماً؛ حتى يدرك كيف يتعامل معه، أو كيف ينجو منه؟

إن الإنسان في هذه الحياة ليقلق ويحزن وخاصة عندما يرى انصراف الناس عن الدين، بل كرههم ومحاربتهم للدين، فعلى المسلم ألا يحزن ويقلق على ذلك، فالحزن والقلق لَيْسَا بِحَلٍ، وعلى المؤمن أن يحتفظ بنفسيته دائماً بشكل رائع ومبدع؛ لذا عليه بالصلاة والتسبيح والحمد ليجلب لنفسه الراحة النفسية.

- هذا وإن الأسرة تعتبر اللبنة الأساسية في المجتمع، وعلى راعي الأسرة أن يسهر على مصالح الأسرة، وأهمها دينها، فعليه أن يأخذ نفسه بالمحافظة على الصلاة، وأن يأمر أهله بالحفاظ عليها.

وللأسف فإن واجب الأب في هذا العصر انحصر في نطاق الأسرة على جلب الطعام والكساء ومتاع الدنيا، وأُهْمِلَتْ شؤون التربية،

فلربما وجدنا أباً يصلي ولكن ما خطر بباله أبداً أن يأمر ابنه بالصلاة أوأن يصطحبه إلى المسجد.

- على المؤمن أن لا يدخل في جدال مع الكفرة والفسقة وألا يضيع جهده ويرهق نفسه في هذا المجال، فالإسلام حريص على صحة المسلم النفسية ولذا يأمره بترك الجدال وترك الأمر لله فهو الحكم الفصل.

وآخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين

==========

المراجع:

١. الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (ت ٦٧١ هـ).
٢. تفسير القرآن الكريم/ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ).
٣. تفسير القرآن/ ابن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ).
٤. تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان/القمي النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ).
٥. تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ البقاعي (ت ٨٨٥ هـ).
٦. تفسير مقاتل بن سليمان/ مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ).
٧. تفسير لطائف الإشارات / القشيري (ت ٤٦٥ هـ).
٨. تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن/ البقلي (ت ٤٠٤ هـ).
٩. تفسير روح البيان في تفسير القرآن/ اسماعيل حقي (ت ١١٢٧ هـ).
١٠. تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ ابن عجيبة (ت ١٢٢٤ هـ).
١١. تفسير روح المعاني/ الالوسي (ت ١٢٧٠ هـ).

١٢. تفسير في ظلال القرآن/ سيد قطب (ت ١٣٨٧ هـ).
١٣. تفسير التحرير والتنوير/ ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ).
١٤. تفسير الدر المصون/السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ).
١٥. تفسير جامع البيان في تفسير القرآن/ الطبري (ت ٣١٠ هـ).
١٦. رياض الصالحين.
١٧. صحيح البخاري.
١٨. من السيرة النبوية: كتاب حياة الصحابة.
١٩. الجامع الصحيح للإمام مسلم.
٢٠. كتب الفضائل.
٢١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري.
٢٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل.
٢٣. سنن ابن ماجة.
٢٤. الكتاب الجامع لفضائل القرآن.
٢٥. قصص الأنبياء لابن كثير.
٢٦. السيرة النبوية لابن هشام.
٢٧. البداية والنهاية لابن كثير.